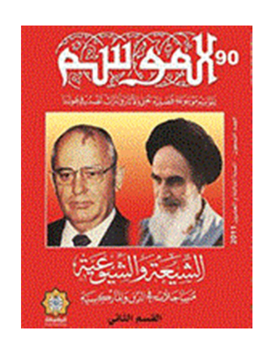
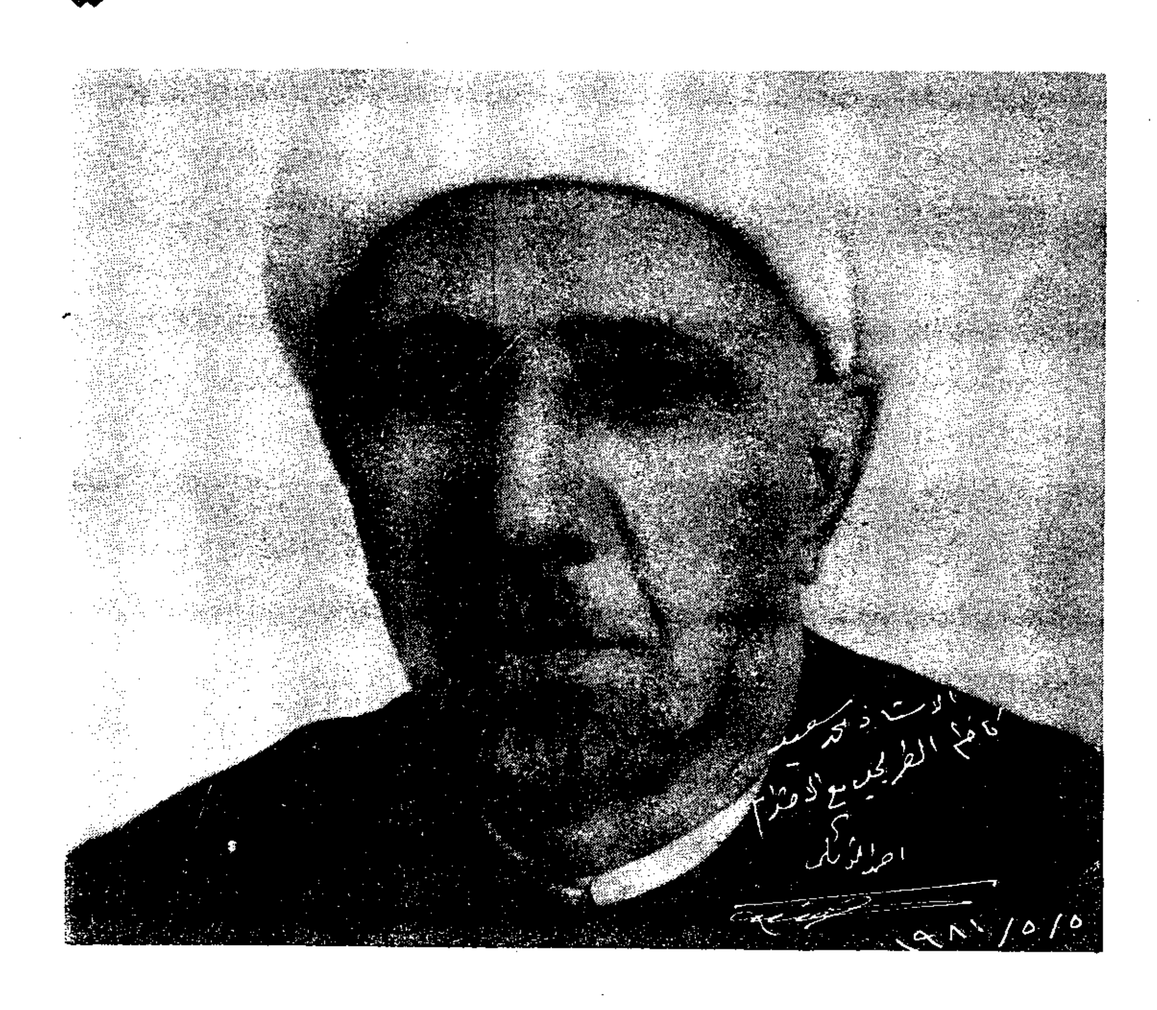


ملف عن الدكتور الشيخ أحمد الوائلی

تاريخ :: نشريه الموسم :: السنة ۱۴۰۹ - العدد ۲ و ۳

صفحات : از ۴۳۸ تا ۵۱۵

ملف عن
الدكتور الشيخ احمد الوائلي



رسمت ملامحي ليظلّ شكلي ... مع المضمون في قلب الكتاب
فجسمي سوف يبلى بعد حين ... وامحا مثل غيري بالتراب
وفوق الترب ليس يبين حُسنٌ ... ولا قبح لشيخ أو شباب
بلى سيظلّ من فعلي وقولي ... حضور رغم إني في غياب
فيا متأملاً رسمي ترحّم ... عليّ بيوم أُدعى للحساب
وقل ربي تلطّف في فقير ... لرحمتك الكبيرة والثواب

(أحمد الوائلي)

السيرة الذاتية

نسبه وولادته

هو الشيخ أحمد[١] بن الشيخ حسون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليثي ، الوائلي ، النجفي .

ولد في النجف الأشرف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٧ ، وبها تربى ونشأ مع شقائق النعمان تطل على ذلك الوادي الأفيح .

أسرته

الليثي بفتح اللام وسكون الياء ، وفي آخرها ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى ليث بن كنانة[٢] ، وعلى هذه النسبة يؤكد مشائخ القبيلة ، ولها اليوم فروع كثيرة في الفرات الأوسط ، وناحية الحمَّار ، من قضاء سوق الشيوخ ويعرفون بآل حطيط ، وقسم الحي ويعرفون بآل باش آغا ، ولِلّيثيين فروع تتصل بالموصل وبلاد الجزيرة وقديماً كانوا زعماء البطائح ـ بين البصرة وواسط ـ وكانت لهم ولاية البطيحة فيما قبل القرن الخامس الهجري وبعده ، وكان أبو علي بن أبي الجبر الليثي متقدماً في بعض نواحي البطائح وقد عصى أيام طغرلبك وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه ، وبقيت إمارتهم إلى ما بعد سنة ٥٥٦هـ[٣] .

---

(١) كانت عادة الطبقة العلمية في النجف ، أن يلجأ الآباء إلى القرآن الكريم لاختيار أسماء أبنائهم تيمناً بكلام الله تعالى ، ولما بُشر ـ الشيخ حسون ـ والد الوائلي ، قرأ المأثور من الدعاء ، وفتح القرآن فاذا بالآية الكريمة «ومبشراً برسول من بعدي اسمه أحمد . .» سورة الصف ٦/٦١ فاسماه أحمداً ونعم الاستفتاح ، فان هذا اليوم الذي ولد فيه ١٧ ربيع الأول يوافق الرواية عن أهل البيت عليهم السلام بميلاد سرور الكائنات محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) ابن الأثير : اللباب ٧٤/٣ القاهرة ١٣٦٩هـ ، السيوطي : لب اللباب في تحرير الانساب/٢٣١ . وراجع ابن القيسراني : الانساب المتفقة/١٣٣ .

(٣) أكثر أخبارهم في الخريدة (قسم العراق) ، ابن الأثير ج ٩ ـ ١٠ وعن الكامل ابن خلدون ٥١/٤ ، زامباور ٢٠٩/٢ وبالجملة فان الأخبار عن بني أبي الجبر قليلة جداً .

والوائلي : بفتح الواو وسكون الألف وكسر الياء تحتها نقطتان وبعدها لام ، هذه النسبة إلى عدة قبائل تزيد على عشرة[1] ، والواقع أن صلة ليث ببني وائل غير واضحة تماماً ولعل مردّ ذلك لبعض هذه الأمور :

١ ـ لأنهم يجتمعون مع وائل بالجد الخامس .

٢ ـ لأن أمهم ـ زوجة ليث جدهم الأعلى ـ بنت بكر بن وائل مباشرة .

٣ ـ لكون لوائهم موحّداً .

وعلى كل حال فانّ بني ليث عرب اقحاح ، وآثارهم ، وتاريخهم ، واعلامهم تملء الكتب ، وتراود الوائلي فكرة إعداد دراسة عنهم تحت عنوان «منتجع الغيث في الصحابة والاعلام من بني ليث» وذكر لي أنه بدأ بأوّليّات الموضوع في العراق .

وفي النجف فان الأسرة الوائلية برز منها الكثير من العلماء والأدباء ، ومنهم :

- الدكتور ابراهيم الوائلي (١٣٣٢ ـ ١٤٠٨هـ) يعد من أساتذة الأدب العربي في العراق .
- ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الحسين الوائلي (ولد ١٩١٤) كاتب قدير وشاعر وأديب .
- عبد الأمير بن الشيخ علي بن محسن الوائلي (ولد ١٩٢٨) كاتب أديب فاضل .
- محمد تقي بن الشيخ موسى بن عبود الوائلي (ولد ١٩٠٦) أديب وفقيه .
- الدكتور فيصل بن قاسم الوائلي (ولد ١٩٢٢) يعد من علماء العراق وتولى منصب مدير الآثار العامة ببغداد .
- قاسم بن الشيخ محمد (ولد ١٩٠١) وكان من رجالات ثورة العشرين ، ومن الأدباء .
- محسن بن الشيخ علي بن حرج الوائلي (المتوفى ١٣٣٦) عالم فاضل زاهد عابد .
- باقر بن الشيخ محسن (المتوفى ١٣٥٤) من أهل العلم والصلاح .
- عبد الحسين بن محمد بن حرج الوائلي (المتوفى حدود ١٣٤٩هـ) كان من الأبدال الزهاد العباد .
- علي بن الشيخ محسن الوائلي (ولد ١٣١٧هـ) من علماء النجف وأهل الوعظ والإرشاد .

وغيرهم الكثير من الاعلام في النجف خاصة والفرات عامة .

---

(١) اللباب ٣/٢٦١ . والأعرجي : الفلك السائر . مخطوط الظاهرية الورقة ٧٤ .

أبوه

هو الأستاذ الخطيب الأديب الراحل الشيخ حسون الوائلي (١٨٩٠ ـ ١٩٦٣م) ولد في النجف وتوفي بها ، وكان تاجراً للحبوب قضى أكثر حياته في (أبي صخير) وهي موضع من مملكة الحيرة القديمة[1] ، ولما تزوج الشيخ محمد علي قسام[2] شقيقة الشيخ حسون اتصل به كثيراً بحكم هذه المصاهرة ، وأقنعه الشيخ قسام بسلوك طريق الخطابة الحسينية ، فاكبّ الشيخ حسون على دراسة مبادىء العلوم العربية والاسلامية ، واستطاع بنباهته وغناه وحسن حالته أن يطوّر نفسه ويتفرغ للمطالعة لينمي ملكته الخطابية ، مستعيناً بالشيخ محمد علي قسام ، ويُلاحظ أن وعيه السياسي بدأ بالظهور باتصاله بآل قسام ـ الذين كانوا من ألدِّ أعداء الاستعمار البريطاني ، فحُسب عليهم ، وساهم كخطيب باداء واجبه الجهادي في الثورة العراقية الكبرى ضد الانجليز سنة ١٩٢٠ ، وكان شاعراً مقلاً أيضاً له بعض القصائد في رثاء الحسين عليه السلام ، وجدة الشيخ حسون كانت من الأسرة العلمية النجفية آل قفطان الذين ينتسبون الى بني سعد .

أُمه

هي الحاجة بيبي بنت الشيخ عواد بن محمد حسين بن الشيخ علي زيني النجفي ، وآل زيني أصلهم من جبل عامل (لبنان) كما ذكر الشيخ محمد السماوي في بحثه عنهم[3] والشيخ علي زيني ـ المذكور ـ جد والدته هو الجد الأعلى للأسرة النجفية «آل جِدّي» الذين منهم الشيخ جابر والشيخ حسن آل جِدّي .

وكان الشيخ علي زيني (المتوفى ١٢١٥هـ/١٨٠١م) من كبار شعراء النجف باللهجة المحلية وهو صاحب المواليا الشهيرة في النجف والذي يقول فيه :

---

(١) أبو صخير تقوم على ١٨كم جنوب النجف ، و٥٣ كم غرب الديوانية (محافظة القادسية) ، وهي تقع على فرع صغير من فروع الفرات ، وتقع أطلال الحيرة القديمة على كيلومترين منها ، وأكثر مباني أبي صخير بالآجر المقتلع من آثار الحيرة .

(٢) الشيخ محمد علي قسام (١٢٩٠ ـ ١٣٧٣هـ) زوج عمّة الوائلي ، وللوائلي قصيدة في رثائه ، عُرف بخطيب ثورة العشرين ، لمواقفه الجريئة ضد الاحتلال ، وهو من العلماء العاملين ، والخطباء الواعين والشعراء اللامعين ، له عدة آثار ، وله ترجمة اضافية في شعراء الغري ٤٩/١٠ ، ونقباء البشر لآغابزرك ١٤٢٦/٤ وفيه ولادته ١٢٩٩هـ . وآل قسام أسرة عربية نجفية أصلها من قبيلة خفاجة ، وبرز فيها كثير من الأعلام انظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف/٣٥١ .

(٣) مخطوط في مكتبة الوائلي ـ بخط ناسخه السيد محمد صادق بحر العلوم ـ رحمه الله ـ .

يا ميمرٍ دوم غوجك على العدا حماي
وانته لنار الحرايب لو خبت حماي
ابات خايف بقلبي موجد وحماي

من حيث سيف العدا لقلوبنا ورّب
والصمت منا تخردل (ياعلي) ورّب
من شيعتك بيش عنك تعتذر والرب

سماك حامي الحمه وتريدالك حمّاي

وللوائلي قربى من جهة أمه بالشيخ هادي بن شريف القرشي ، والشيخ باقر القرشي وكلاهما من الأدباء العلماء ، وأمهم بنت الحاج ابراهيم جدي شقيقة الحاج جابر جِدّي .

وعلى العموم فإنه عاش في ظل اسرته طفولة مرفّهة ما تزال صورها في مخيلته حية في ذاكرته ماثلة في ذهنه بما يحدثنا نفسه عن ذلك فاسمع قوله :

سل الطفولة هل مرّ الزمان على ... ألذ منها ومن أيّامها الأول
أيام نشتار من صبح يطلُّ على ... ورد وليل على الألحان منسدل
نظلُّ نركب أحلاماً مجنحة ... تطير فينا إلى الجوزاء والحمل
ونرسم الليل سعلاة باعينها ... جمر وجثتها السوداء كالجبل
وكلنا نتبارى في بطولتنا ... إذا حكينا فما فينا سوى بطل
حتى إذا ما انتهينا من ملاحمنا ... وأسلمتنا حكايانا إلى الملل
عدنا إلى الرمل نبني منه أروقة ... ونصنع الطين من خيل إلى إبل
وقد يمرّ شجار ثم يعقبه ... صلح وما ثَمَّ من غلٍّ ولا دغل
عواطف في نقاء الشمس ناصعة ... ما إن تعاملن في يوم على دغل
يا للطفولة نوّار واخيلة ... مزوّقات وطهر غير مفتعل

ويقول في أخرى :

عهود الصبا ياحلوة ان ذكرتها ... فإنَّ شفاهي من حلاها تفطر
وعهد الصبا ترنيمةٌ اريجيةٌ ... تزوّق من أحلامنا وتعطر
فيا للصبا جفت لدان غصونه ... وعاد يبيساً عوده يتكسر

نشأته ودراسته :

نشأ في النجف على أبيه نشأة فاضلة ، كان فيها عزيز الجانب ، موفور الكرامة ، شديد الاعتداد بشخصيته ، قوي الأمل بمستقبله ، متفوقاً على أقرانه ، مع نباهة وذكاء حادّين ، وللحاضرة النجفية أثر كبير في نبوغه ، كونه خريج مدرستها الكبرى ، التي هي أقدم مدرسة للأدب العربي ، تلك المدرسة التي مشى إليها الموكب من جزيرة العرب إلى الحيرة ، ومنها إلى الكوفة ، ومنها إلى النجف ، وهي نسيلة الكوفة أو بقيّتها ، وما برحت النجف مورد اعتزاز الوائلي وفخره :

نجفي يا خميلةً في الفيافي ... وربيعاً يهتزُّ وسط محول
وتراباً معنبراً لست أرضى ... عن حصاه نجم السَّما ببديل
يامغاني العلا ويامهبط الفكر ... ومحراب نابغاتِ العقول
يامهادي الوثير يوم قدومي ... ووساداً أرجوه يوم رحيلي
نام فيه أبي وشيخي وإخواني ... جميعاً في ظلِّ حامي الدخيل

وفي السابعة من عمره درس لدى الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم ، وكان ذلك في مسجد الشيخ علي نوايهْ في سفح جبل الطمّة من محلة العمارة ، وكان شيخه آنذاك الشيخ عبد الكريم قفطان ، وبعد تعلمه القراءة والكتابة ، وقراءة القرآن الكريم ، وبعدما صلب عوده واشتد ساعده ، بدأ دراسته بشكليها الأكاديمي الرسمي ، والحوزوي الذي يعتمد على قدرة الانسان ونبوغه ومقدرته العقلية ، فجمع بذلك الفضيلتين ، واستفاد من التجربتين ، ففي الأولى أنهى الدراسة الابتدائية بمدرسة الملك غازي الابتدائية في النجف سنة ١٩٥٢ ، ثم دخل متوسطة منتدى النشر ، فكلية منتدى النشر ، وتخرج منها بتفوق ومن أقرانه في هذه المرحلة السادة : صادق القاموسي ، ومحمد حسن آل ياسين ، ومحمد رضا المسقطي ، وأحمد المظفر .

ولما تأسست كلية الفقه سنة ١٩٥٨ انتسب اليها ، وتخرج سنة ١٩٦٢ بحصوله على بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، ثم أكمل الماجستير في نفس الاختصاص في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة بغداد ، وكانت رسالته بعنوان (أحكام السجون) ثم غادر إلى جمهورية مصر العربية ، حيث درس في كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، ونال درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٨ عن أطروحته الموسومة «استغلال الأجير وموقف الاسلام منه» .

وخلال وجوده في القاهرة لاعداد أطروحة الدكتوراه ، درس الاقتصاد في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية ، ومن أساتذته في هذا الاختصاص كان الدكتور علي لطفي ـ رئيس الوزراء المصري فيما بعد ـ يعلّق عليه الآمال الكبيرة .

وفي مصر حظي الوائلي باهتمام الفئات المثقفة من العلماء والأدباء ، لسعة ثقافته وخلقه السامي واجتماعياته ، ومن بين الاعلام الذين استأثر باهتمامهم الدكاترة والأساتذة : أحمد الحوفي ، وعبد الحكيم بلبع ، وتمام حسان ، ومصطفى زيد[1] ، ومحمد علي السايس ، وعبد العظيم معاني ، وبدوي طبانه ، وعلي الخفيف ، وغيرهم .

ولمصر في ذاكرة ـ الوائلي ـ أيام لا تنسى من الجهاد العلمي ، واللقاءات الأدبية المثمرة ، وما يتبع ذلك من تبادل في الخبرات وتلاقح في الأفكار ، وعلى حدّ تعبيره فإن مصر هي لسان الضاد المعبر ، ومنبعها الثر ، ووجه العرب المشرق :

ومصر كفــاءات وحشــد مــواهبٍ ... بكــل مجال رائــع عندهــا جــذر
ومصر من الفصحى لســان معــبّر ... ومن غــرر الأفكــار منبعهـا الـثّر
ومهــد حضارات تصدّى قـديمهـا ... إلى حـدثـان الـدهـر فـانهزم الـدهـر
ونضّرهــا الاســلام فهي لــوامــع ... تمــوّج في أبعـادهـا النُّـور والنَّـور
ومصر وأرض الــرافــدين تــوائم ... ومــا تــوأم إلّا لتــوأمــه شــطر
يشــدّهمــا عمق الحضــارة مــوئلاً ... وينميهـــما للمجـد من يعــرب نجـر
ومن فــوق هذا شرعــة الله وحّـدت ... مســارهما فـاستلحم الشفـع والـوتـر[2]

أساتذته :

أما دراسته الحوزوية فقد بدأت بقراءته مقدمات العلوم العربية والإسلامية ، ثم تدرج في ذلك حتى انهى مرحلة السطوح وهي مرحلة متقدمة في الدراسة الدينية لجامعة النجف الكبرى ، وحظي خلال هذه الفترة بجمهرة من الأساتذة الأجلاء ومنهم أساتذته في العربية وعلومها :

---

(١) وقد أشرف على رسالته للدكتوراه .
(٢) من قصيدة يرحب بها بالكاتب المصري عبد الفتاح عبد المقصود ، القاها في حفل أقيم له في منتدى النشر ـ والوائلي رئيس المنتدى يومذاك ـ سنة ١٩٧٧ .

١ ـ **الشيخ علي ثامر** : (ت ١٩٦٤/١٣٨٤) من علماء النجف الأفاضل ، وهوَ والد الدكاترة : حسن ، وأحمد ، ومحمود آل ثامر ، وقد درس عليه المعاني والبيان وعلوم البلاغة ، والشيخ علي هذا أستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري في علوم البلاغة[1] ، وللوائلي قصيدة في رثائه تعبر عن شدة تأثره لفراقه ، وعن علاقته الروحية العميقة به ، ومما جاء فيها :

رسمتك في فكري فضاء بك الفكر ... ونحتك في شعري فجلّى بك الشعر
سكبت القوافي في رثاك من الشجى ... فمن لوعتي شطر ومن أدمعي شطر

ومنها :

رأيت الغنى فِكراً يعيش وغيره ... وإن ملأ الآفاق من ذهب فقر
فما مات عيسى وهو يفترش الثرى ... ولا عاش قارون وأبوابه تبر
تهاوى رماداً ألف صرح ممرد ... وعاش على البردي في ألق سطر

٢ ـ **الشيخ عبد المهدي مطر** :

ولد (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) من شيوخ الأدب والشعر وأساتذة الفقه والأصول ، والوائلي كثير الثناء عليه ، توفي بعد ١٩٧٠ وله ديوان شعر كبير معدّ للطبع وكتب أخرى أكثرها مخطوط[2] .

٣ ـ **الشيخ هادي بن شريف بن مهدي القرشي** :

ولد(١٣٤٣هـ/١٩٢٥م) ، كان عالماً فاضلاً جليلاً من اجلاء المشتغلين والمدرسين[3] .

ومن أساتذته في الفقه والأصول :

٤ ـ **الشيخ علي بن الشيخ محمد سماكة** :

ولد سنة (١٣١٩هـ/١٩٠١م) أحد العلماء المجتهدين ، ومن أساتذة الفقه والأصول[4] . توفي في الحلة بعد ١٩٧٠ وكان عالمها الأكبر ، ورافق الوائلي لدى دراسته لديه السيد صالح الخرسان .

---

(١) ديوان الجواهري ٨٢/١ طبعة دمشق .
(٢) راجع شعراء الغري ٩٧/٥ ، معارف الرجال ٤٨/٢ . ماضي النجف وحاضرها ٣٥٧/٣ .
(٣) ماضي النجف وحاضرها ٦٧/٣ .
(٤) مشهد الإمام ١٣٣/٤ .

٥ ـ **السيد حسين يوسف مكي العاملي :**

(١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) مجتهد وعلامة معروف[١] وهو والد الحجة العلامة السيد علي مكي العاملي ـ عالم الشام ـ المعاصر .

٦ ـ **السيد محمد تقي بن السيد محمد سعيد الحكيم :**

ولد (١٣٤١هـ/١٩٢٣م) من كبار علماء العراق المعاصرين ، عضو المجامع العلمية بمصر وبغداد ، من كتبه الشهيرة «أصول علم الفقه المقارن» .

وممن تتلمذ لديه في دراسة العقائد والفلسفة والمنطق :

٧ ـ **الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء** (ولد ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م) عالم محقق من أئمة الجماعة في النجف[٢] ، من كتبه : نقد الآراء المنطقية ، وجنة المأوى ، وغير ذلك ، ومن زملائه في الدراسة لديه : السيد رضا الخلخالي ، درسا لديه منطق المنظومة .

٨ ـ **الشيخ محمد حسين بن محمد المظفر** (١٣١٢ ـ ١٣٨١هـ) : من كبار علماء الأمامية ومؤلفيهم في النجف من كتبه : الشيعة والإمامة، الامام الصادق ، تاريخ الشيعة ، وغيرها[٣] .

٩ ـ الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢ ـ ١٣٨٣هـ) : العلم العلامة الجهبذ المصلح الكبير ، من أعلام النجف الكبار ومن أساتذتها الذين برزوا في أفكاره الاصلاحية ، وبث وسائل الدعوة داخل العالم الاسلامي وخارجه ، حضر مؤتمر باكستان ١٣٧٦ ، ومؤتمر جامعة القرويين ـ مراكش ١٣٧٩ وانتخب عام ١٩٦٣ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي ، من كتبه الشهيرة : المنطق ، وأصول الفقه ، وما تزال تُدَرَّس في جامعات النجف وايران والهند وباكستان[٤] ، كتاب أحلام اليقظة وحرية الفكر والإسلام وغيرها . والوائلي من أشد المتأثرين بأفكاره الاصلاحية ورافقه في كثير من مواقفه وأحداث حياته ونهضته ، وكان خليفته فيما بعد في رئاسة منتدى النشر ـ المؤسسة العلمية الشهيرة في النجف ، وقد نظم الوائلي رائعة في رثائه مطلعها :

أكبرت امسك أن يأسى عليه غد ولم يزل يرفد الدُّنيا بما يلد

ويقول فيها :

(١) له ترجمة ضافية في كتابنا المخطوط عن تراجم الرجال .
(٢) له ترجمة في دليل الجمهورية العراقية/٥٤٢ ، وماضي النجف وحاضرها ١٧٦/٣ .
(٣) ماضي النجف وحاضرها ٢٧٠/٣ ، شعراء الغري ٢٩١/٩ . طبقات أعلام الشيعة ٦٤٦/١ .
(٤) ماضي النجف وحاضرها ٢٧٤/٣ ، شعراء الغري ٤٥١/٨ ، طبقات أعلام الشيعة ٧٧٢/١ .

لا لن يموت نديٌّ منك مؤتلق بالنيّرات وللأمجاد منعقد
يا أيها النبع ثرّاً في تدفقه أيام أغزر ما في دهرنا الثَّمد
ستون عاماً ضخاماً في حصائلها وان تبدّى قصيراً عندها العدد
ومن عطائك فيه ألف باسقةٍ شوامخ في نداها للسَّما نُهُد
لا يأكل التُرب روحاً منك خالدةً بل كل ما للتُّراب الشلو والجسد

١٠ ـ الشيخ محمد تقي بن الشيخ جواد الايرواني (ولد ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م) من العلماء الافاضل والفقهاء والأماثل .

أما في النصوص الأدبية ، فقد حضر لدى :

١١ ـ الشيخ محمد سعيد بن سلمان مانع (ولد ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١) من الشعراء الأدباء ، من آثاره (أنيس الجليس في التشطير والتخميس) .

ودرس الفلك والهيئة لدى :

١٢ ـ الشيخ جليل العادلي . أما في الرياضيات والهندسة فقد حضر عند :

١٣ ـ السيد كاظم الحبوبي . وفي اللغة الانكليزية حضر عند :

١٤ ـ السيد كاظم كشكول .

وفي الخطابة تتلمذ لدى نخبة خيّرة من مشاهير خطباء عصره وهم :

١٥ ـ السيد باقر السيد سليمون .

١٦ ـ الشيخ مسلم الجابري .

١٧ ـ الشيخ محمد علي قسام .

١٨ ـ ولابد من الاشارة هنا الى حدث هام في حياته الدراسية ، ذلكم هو تحمله المسؤولية الدينية بالانصراف الكلي والتوجه التام للخدمة الدينية بارتدائه (العمامة) والعلماء في النجف يرشحون لذلك من يتوسّمون به الكفاءة والمستقبل المشرق ، وبعد أن يأخذ الطالب شطراً كبيراً ويقطع شوطاً طويلاً ، في ضبطه لمقدمات العلوم وتحليه بمكرمات الطباع والآداب ، لاكما نرى في أيامنا هذه ، حيث يتلقف العمامة ويتوج بها نفسه كل من هبّ ودب جرياً وراء المنافع الدنيوية والاطماع الدنيئة فيشوّهوا بذلك صورة الدين لدى الناس :

وأهوى العمائم تطوى على نهى راجح يذبلاً أو شماما
رأما اذا كوّرت والرؤوس بغير نهىٍ فاقرئوها السلاما

ويقتــــــلني منفق عمــــــــره   عــلى العلم يفنيه عـامـاً فعـامـا[1]
ليصلح دنيـــــــاه في دينـــــه   ويــدعى بنــا حجــة أو إمــامــا

ينتقد الوائلي هؤلاء المرتزقة ممن تشبهوا بزي أهل العلم من وعاظ السلاطين وطلاب الدنيا انتقاداً مراً وينعى على الحوزة احتضانها لامثالهم :

وفــريق تيمموا عتبـة الأسيــاد   في حقــــل سيـــــد ومســــود
ربضـــوا حـــولهم كـــما كـــان أهـــل الكهف فيـــه   وكلبهم بالوصيد
لفـــظتهم شتى المجـــالات إذ ضـــاقت بهم بــــلاهـــة وجمــــود
فـــاستــراحـــوا الى التفيؤ بـــالحـــوزة أكـــرم بـــظلهـــا الممــدود
فـــاستراحـــوا، فـطاحــلاً في شهــور   واستــطالـــوا هيـــاكــلاً من جليــد
واستفــــــادوا مضـــــيرة وسمتهم   بشعـــــار في جبهــــة أوفـــود
فتبـــدى عـــلى الـــوجـــوه وســـام   فيـــه نـــور من الحيـــاة الســـود
وتهـــامت سخيـــة بـــركـــات   من خـــداع فبئس دنيـــا القـــرود

لذلك فيجب صيانة هذا الشعار المقدس من يد العابثين وضحكة الهازئين ، ووجب على اهلها الحقيقيين أن ينتبهوا لذلك ، وأن يصونوا (العمامة) من الجاهلين المتحلين ـ والوائلي ـ من أوائل الذين نبّهوا الى ذلك عبر خطاباته المتكررة إلى الامة ـ لأنَّ الوائلي ادرك بحكم بصيرته ، وتسنمه كرسي الخطابة الحسينية والمعرفة الواسعة في علوم أهل البيت في انه قد وصل الى ماوصل اليه من الرفعة والسمو كان عبر تدرج طويل ، وصبر ومعاناة كان قد بذلها لأجل ذلك ، وذلك ماتفاءل به اساتذته ساعة توّجوه بالعمامة النجفية ، يوم ان تقدم العلامة الشيخ محمد الشريعة ليضعها على رأسه وسط حفل بهيج اقيم في مبنى منتدى النشر وسط جمهرة واسعة من أهل الفضل والأدب ، وذلك حدث لن ينساه الوائلي طيلة عمره ، لأنه اصبح منذوراً لخدمة الدين منذ تلك اللحظة ؛ وتسلم الامانة المقدسة التي يحرص على الوفاء لها بروحه ويحلو لديه بذل نفسه في سبيلها .

عصر الوائلي

من العوامل المؤثّرة في صياغة شخصية الوائلي ، هو عامل المجتمع الذي عاصره فالوائلي ابن النجف الأشرف ، نشأ في محيطه تربية وتعليماً ، والنجف من أعرق البيئات الثقافية الاسلامية تدماً ، يقول الدكتور علي جواد الطاهر :

---

(١) الأبيات للمرحوم محمد علي الحوماني .

«النجف مدينة العلم الديني المنقطع النظير ، ثم الأدب والشعر ، وهي فيهما نادرة من النوادر واعجوبة من الأعاجيب ، يُعني أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب ، انهم أدباء كما يتنفّس المرء الهواء . . ولاتسل بعد ذلك ـ عن الكتب والمكتبات ، والأسر العريقة في العلم والأدب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة ، ومايُتلى من شعر في الأفراح والأحزان ، وفي مآتم الحسين بن علي ومايتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس . .

إن الشعر في النجف حياة ، وهو لدى ابنائها ولا أسهل منه أو أيسر ، أو أنه فيها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً ، جداً وهزلاً ، وهو مجد كما هو مرتزق ، وعلامة فارقة لاتكاد تضاهيها فيه بلدة اخرى في العالم العربي . .» (١)

ومن خواص النجف التي تذكر بالاكبار انها سايرت التطورات الدينية الأدبية في العالم العربي ، بصدر رحب وأفق واسع فهي مع محافظتها على أصالة الفكر الاسلامي لم تتزمت فترفض المعاصرة ، وإنما أخذت من وسائلها وأسبابها ما رأته الضروري النافع حتى «أنّ الكتب الحديثة ما تكاد تدخل العراق حتى تتجه رأساً الى النجف فتتلقفها الأيدي هي وكتابات أكثر حداثة كشعر شوقي وحافظ وإيليا أبي ماضي ، وفيهما ماينافض الفكر النجفي المناقضة كلها ، وهو رد فعل يتبناه الذين ضاقوا بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الأقصى من رد فعل مطبوعات الآستانة ، والهلال ، والمقتطف ، وشبلي شميّل والريحاني . . ومجلات وجرائد مما يعد حراماً وكفراً والحاداً . .» (٢) .

على كل حال نشأ الوائلي في هذا العصر الذي يعتبر قمة في نضج وسعة المدرسة العلمية النجفية في مختلف أبعاد المعرفة ، وكان من عناية الله تعالى بالحوزة أن تتابع جيل من المراجع المحققين والعلماء الكفوئين لقيادة الحوزة ، وقد ضمت هذه الفترة على تعاقب واجتماع :

الميرزا حسين النائيني ، والسيد أبو الحسن الاصفهاني ، والسيد محسن الحكيم ، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، والسيد أبو القاسم الخوئي ، والشيخ محمد حسن المظفر ، والسيد عبد الهادي الشيرازي ، والسيد حسين الحمامي ، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم ، والشيخ محمد رضا آل ياسين ، واضرابهم من فحول العلماء الاعلام ، وهؤلاء مجرد نموذج لا على نحو الاستيعاب ، وتليهم طبقة أخرى صمّت مجموعة ، منهم :

الشيخ مرتضى آل ياسين ، والشيخ محمد رضا المظفر ، والسيد موسى آل بحر العلوم ،

---

(١) مقدمة ديوان الجواهري ١/٣ دمشق ١٩٧٩ .

(٢) نفس المصدر ١/٦١ـ٦٢ .

والسيد محمد باقر الصدر ، والسيد محمد تقي الحكيم ، والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي ، والسيد مرزا حسن البجنوردي ، وأمثالهم ، وهذه المجموعة هي الأخرى مجرد نموذج من عدد كبير .

وحفل عصره أيضاً بعدد من الخطباء المبرزين ، منهم الشيخ محمد علي اليعقوبي ، والشيخ محمد علي قسام ، والسيد صالح الحلي ، تليهم طبقة اخرى نسجت على منوال السابقين ممن ذكرناهم من الأدباء والشعراء فيشكلون كمّاً كبيراً لهم طابعهم النجفي الخاص ، وأدبهم الناضج والرائد ،ابتداءاً من شيخ الأدب الشيخ محمد جواد الشبيبي ، والشيخ محمد رضا الشبيبي ، والشيخ علي الشرقي، والشيخ محمد مهدي الجواهري، والسيد محمد سعيد الحبوبي، . والشيخ صالح الجعفري ، والدكتور عبد الرزاق محي الدين ، وكثيرٌ غيرهم ممن صقلت بهم أبعاد النجف الحضارية ، ومن الجدير بالذكر أن معظم أهل العلم شعراء ولكنهم لايرغبون بذكر ذلك عنهم لرغبتهم في الاحتفاظ بالنهج العلمي والاشتهار بذلك ، أما المحققون في الابعاد الفكرية الأخرى فيوجد أعداد كبيرة ، ورد ذكرهم في كثير من الموسوعات والمراجع المتخصصة[1] ، ومن أراد الاستزادة الرجوع اليها لأن النجف وبالاختصار كل زقاق من ازقتها معهد علمي ، وكل ناد من انديتها ومجلس من مجالسها هو عبارة عن مؤسسة ثقافية تحفل بعطاء علمي ناضج .

ومثل هذا الجو لابد أن يفعل فعله في شخصية الوائلي ، فقيهاً كان أو شاعراً أو خطيباً ، ويعمل على صقله وتهذيبه ، وبالتالي تكوينه بالشكل اللائق ، ولاشك أن للاستعداد الفطري لديه أثر في توجهه وحرصه على الانتهال من هذا الغدير الذي يحمل سمات المعلم الثاني بالوجود الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن قدس روحانية مرقده السامي الرابض كالأبد على الذكوات البيضاء من الغري الأغر ، ومن فيض نفحاته وبركاته أن عايش الوائلي وأقرانه هذه الأجواء الرائعة التي قد لايجود الدهر بمثلها ، وعاصروها وتفاعلوا معها فكراً وعقلاً وروحاً ، واستطاعوا أن يعطوا ، ويؤثروا في الأوساط العلمية والاجتماعية ، وللنجف في شخصية الوائلي أثر بليغ محفور في ذاكرته ، ورنين يومي أبدي الحضور في شعوره وتصوراته ، يُملي على ذاته تمثلها في حركاته وسكناته ، ولم تزده الغربة إلّا تعلقاً وتولّهاً وهياماً وشوقاً مضرم اللهب ، جياش العواطف ، لن يهدأ ولايستكين :

---

(١) راجع مثلاً : ماضي النجف وحاضرها (١-٣) ، شعراء الغرب (١-١٢) ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام للأميني .

صور أقمن بمقلتيّ اقامة المعمود في ربع الحبيب النائي
يزددن حسناً كلما بعد المدى ويلفهنّ البعد في لألاء
وتراب أوطاني ربيعٌ أخضر ولو أنها في بلقعٍ جرداء
صافحته بالخدّ[1] عند ولادتي ورسمت منه بجبهتي طغرائي

* * *

(وادي الغري) وحق رملك وهو ما اشتاقه في غدوتي ومسائي
لو تستبين على البعاد مشاعري ملهوبة كالجمر في الظلماء
وصبابتي وأنا القصي عن الحمى وبمقلتي تلفّت الغرباء
لحزنت لي ولحنّ رملك مثلما ضج الحنين بأدمعي ودمائي
فأنا ابنك البرّ الوفي وفطرة عطفُ الأب الحاني على الأبناء
أترى وطيفك يستبد بمقلتي انساك لا ورمالك السمراء
فأنا لهيب مشاعر وصبابةٍ تواقة لقبابك الشّماء
وإلى محاريب العبادةِ والتقى ولخشعةٍ من راهب بكّاء
أما مدارسك التي رقت بها للفكر الف خميلةٍ غنّاء
أنا من طيوف خميلها أشدو بما في روضها من روعةٍ وبهاء
وبيطن تربكِ لي جذور أوغلت من أعظم الاجداد والآباء
ممن أراق دماً وأسرج فكرةً من أجل مجدكِ دونما ضوضاء
وبراعم لي في حشاكِ دفنتهم كانوا النسيج البكر من أحشائي
وأريت فيهم للطفولة بسمةً ودفنت فيهم بهجتي وهنائي
فلديك أصل والفروع وانني أنا لاحق بهما بدون مراء

والفتى ، يجوب فعلاً مراتع النعمان بن المنذر ، ويستظل بغرياته ، ويتفيأ شقائقه ، ويفترش شَيْحه وقيصومه ، في أجواء لم يغادرها الشعر قط ، حَيّة نابضة بأصداء الأعشى الكبير ، وعدي بن زيد العبادي :

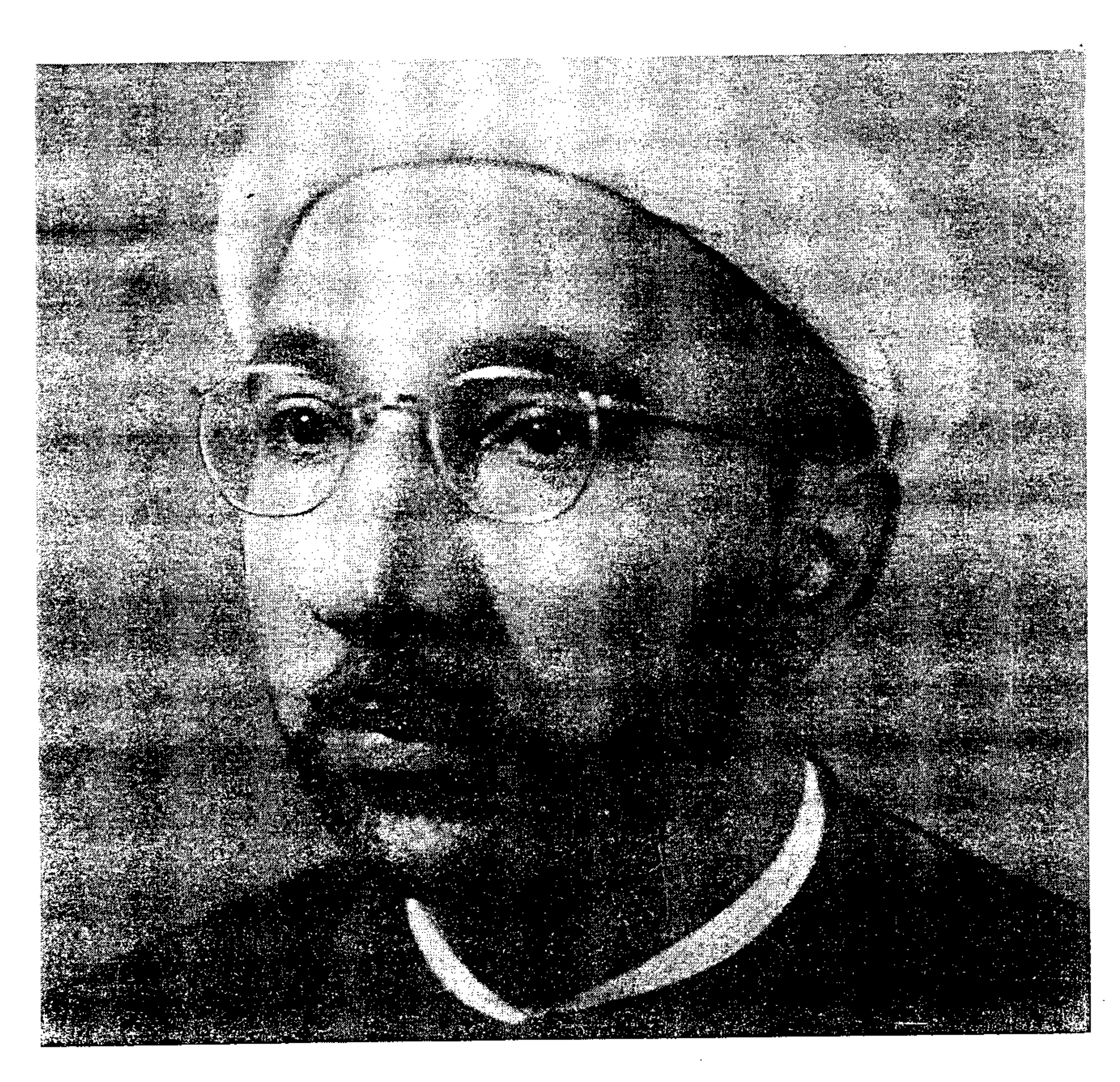
(١) عُرفت النجف قديماً بخد العذراء ، وهي التفاتة ذكية من الوائلي ، لم يطرقها قبله أحد من النجفيين ، ويرد في شعر الوائلي كثير من أسماء المواقع الأثرية التي تربى في ظلها كآثار دولة المناذرة ، وقصورها ، وأديرتها ، وذلك بتأثير الصورة التي انطبعت في صباه يوم كان والده يُكثر التردد على الحيرة القديمة ـ بحكم عمله التجاري ، وذاكرة الصبا لا تُنسى .

وللدوالي بأرباض السدير بها ... طيف من ابن عديٍ أو شذى دَعَد
وديـر هند وقد مرّت كواعبه ... تمشي الى الكرح في دلٍ وفي أود
حيث الشعانين تستهدى مواكبه ... طريقها بنهود للسَّما نُهّد
وحيث يمزج ثرواني خُمرته ... بالخمر حين ابتغى ماءاً ولم يجد
لكوفة الجند أطياف الكميت بها ... وندة ثقة في المتن والسند
لسامر المتنبي العبقري لدى ... ربوع كندة بالنقاد محتشد
لرملة النجف السمراء ضاحكة ... أبعادها بالأصيل الحلو والرأد

ما دمنا في مجال دراسته يحسن بنا الاشارة الى منهجيتها ـ ولو بصورة عابرة ـ ذلك أن الوائلي لم يقتصر على الدراسات المذكورة بل واصل فيها التحصيل الذي يتطلبه موضوع الخطابة الحسينية ، والذي يحتاج فيه الخطيب الى تحصيل موسوعي نظراً لحاجة المنبر لمجموعة كبيرة من المواد العلمية .

ومن المفيد هنا الاشارة أيضاً الى أن كلاً من الدراسة الحوزوية ، ومناهج المنبر الحسيني في هذا العصر كانت تتسم في جو شديد من المنافسة تتميّز به مدرسة النجف العلمية في أصالتها وعمقها ، ومايلاقيه طالب العلم من صراع في سبيل تحقيق ذاته ، وإثبات وجوده ، ولا دور في مدرسة النجف إلاّ للموهوبين الذين يمنّ الله تعالى عليهم باستعداد خلقي بالاضافة الى جد في السعي والتحصيل ، وحلقات تتبارى فيها الكفاءات من اساتذة لامعين يحرص كل منهم على انتاج مميز يساجل به الآخرين مما يعرفه من طلاب العلم في الاسر العلمية في النجف ، وكذلك بجيل مميز من الخطباء حقق نقلة في المنبر الحسيني من مجرد كونه محركاً عاطفياً يعتمد على اثارة الشجون والحزن لمأساة الطف ، الى مرحلة حفلت بالسرد التاريخي وربط الحوادث بعظات وعبر وشيء من العقائد والاحكام توضع في إطار أدبي ، ومنهج من مفرداته النصوص الأدبية بقسميها الشعر والنثر وسير الصالحين والعظماء ، وكانت المرحلة بالنسبة للوائلي حافزاً له على استثمارها وبناء الأسس عليها منطلقاً الى ماهو أوسع وأشمل ، ومعتمداً في ذلك على امكاناته العلمية لتحقيق ذلك وفق قنوات منهجية وعلمية ، ونجح الوائلي في ذلك نجاحاً عريضاً ، وسرعان ما امتد صيته الى الملايين من أبناء الطائفة في العالم العربي والمهجر وبالطبع فليس من السهل نجاح مثل هذا الأسلوب الذي عرف به الوائلي ، لأن مستمعي المنبر يختلفون في وضعهم الثقافي ، ويتنوعون من اميّ الى جامعي ، فلست تملك قدراً جامعاً يرضي أذواق هؤلاء مالم تتنوع المعلومات ، ويتم اختيار منهج لبق يوازن بين حاجات هؤلاء في انسجام وربط ذكي ، وذلك ماوُفق فيه الوائلي الى حدٍ كبير مع ماتميز به حضوره من جرأة أدبية عالية ولباقة نادرة وبديهة

حادة ، فطفق شعاع مجالسه الثرة يخطف أبصار المعجبين ، وأخذ سحر بيانه يستولي على ألباب المؤمنين ، وطار صيته في كل المرابع والنوادي واشتهر أمره في الحواضر والبوادي وبذلك تسنم عرش امارة الخطابة الحسينية بحق وحقيقة ، فهو اليوم أمير المنبر الحسيني بلا منازع ، ولايجادل في ذلك إلا معاند أو جاهل ، وذلك من الله لطف وتدبير بل هو فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ، فبورك للوائلي امارته في رحاب سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام .



* الوائلي كما يبدو منذ نحو ربع قرن

لقطة من الماضي

شباب الدعاية للقضية الحسينية

وردتنا رسالة من المجر الكبير في لواء العمارة تحت العنوان المذكور وقد وقّعها الذوات الآتية أسماؤهم :

ارحيمه العبود . حاج راضي . عبد علي الشاوي . يوسف حسن رشيد . يحيى عبد الحسين . فرحان الكناني . حسين حاج علوان . جاسم حاج عفاره . مهدي كريم .

وقد رفعوا الرسالة الى المعهد العلمي الكبير (منتدى النشر) في النجف بالنظر لقيامه بتخريج طائفة من الشباب الحي للدعاية الحسينية وأحد المثل الذي قدّمها الاستاذ الشيخ أحمد الوائلي الذي عنوه بهذه الرسالة وإليك نصّها :

لما كانت نهضة الحسين غير محدودة في عالمها ولا تخص أي فريق من البشر فهي قضية انسانية يعود مغزاها لصالح الناس أجمع تحتم على ذوي النبوغ ورجال العلم وأبطال العمل أو يوجهوها بما يستدعي وضع العالم اليوم من تطور وتقدم في الفكر والعمل ، ويكفينا هواناً أن نرى بشراً مثلنا قد ركب الجو فطار وارتقى ، وامتطى البحار فخاض وطوى ، وذلل شامخات الجبال فطأطأت لهمته خضوعاً ، وبقر الأرض في التعدين ، سير الحديد فركب ، وكام المعادن فطرب ، واستخدم البخار فاستفاد . ألم يكن منا أن نحسن القول ونفهم كيف تأدية المقصود والوصول إلى أهدافنا الروحية ودعايتنا الدينية بأن نكيف المشاعر ونأخذ بمجامع القلوب ونوضح الأهداف التي رمى إليها الامام الحسين بأسلوب موفق يتلائم ولغة الجيل اليوم وقد ظهر اليوم بصيص من هذا الخواطر فتجلّى في أشخاص نخص منهم الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي الذي متعنا بمحاضراته هذا العام (١٩٤٦) والذي يصح لنا أن نعبر عنه بأحد أعضاء (شباب الدعاية للقضية الحسينية) وختاماً نرجو من الله أن يتحفنا بأمثال هذا الشاب الفاضل كما نرجو أن تتفضلوا بنشر هذه الرسالة لتكون معربة للملأ عن شكرنا وإكبارنا للوائلي ودمتم سيدي للأدب والعلم حارساً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لجنة التأبين الحسينية في ناحية المجر الكبير

«نشرت في مجلة البيان ـ النجفية . السنة ١ العدد ١٥ (١٩٤٦)»

رئاسته لمنتدى النشر :

عمل الوائلي في المنتدى منذ تأسيسه ، وعايشه تلميذاً وأستاذاً وأصبح سكرتيراً له عام ١٩٧٠ ، وفي عام ١٩٧٦ انتخب رئيساً لهذه المؤسسة الفكرية العريقة الذي وضع لبناتها الأولى وشاد صرحها العظيم ، العلامة الراحل الشيخ محمد رضا المظفر ، بالتعاون مع جماعة من العلماء والأدباء المعروفين في النجف ، ومنهم : «السيد يوسف نجل الإمام السيد محسن الحكيم[1] ، السيد محمد تقي الحكيم ، الشيخ محمد رضا فرج الله ، الشيخ مسلم الجابري ، السيد جواد شبر ، السيد عبد الحسين الحجار ، الشيخ محمد صادق القاموسي ، الشيخ عبدالله السبيتي ، الشيخ عبدِ المهدي مطر ، السيد محمد صادق السيد مهدي الصدر ، السيد محمد جمال الهاشمي ، الشيخ محمد حسين المظفر ، الشيخ علي سماكه ، السيد هادي فياض ، السيد محمود الحكيم ، الشيخ محمد طه الحويزي» مع تعاون نخبة من رجال المال والإدارة كالحاج رؤوف شلاش ، والسيد هاشم الصراف وغيرهم وكان التأسيس سنة ١٣٦٧ وارخ ذلك الشاعر الشيخ محمد حسين بن يونس المظفر المتوفى سنة ١٣٧١هـ بقوله :

بـــا بنفسي عصـــابــة أخــذتهم ... غـــيرة الـــدين مــذ رأوه تفــرنــج
فـــأقـــامـــوا بنـــاءه لبنيـــه ... فهـــــو من طيب نشره يتـــأرّج
بلواء ديننـــــــا الحنيف ارخ ... (منتـــدى النشر جـاء للحق منهـــج)

واستطاع المنتدى أن يثبت وجوده وسط معارضة شديدة من زمرة الجهل والتخلف والتقاليد والأعراف المتوارثة الجامدة التي كان يثيرها كل من تضرر من الأفكار الاصلاحية التي طرحها المنتدى[2] ، لكن القافلة استمرت في سيرها المتزن ، فنالت استحسان الجمهور الواعي ، وكان مرجع عصره السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني في مقدمة المؤازرين والمؤيّدين[3] .

وبلغ الاستحسان مسامع الشعراء وأثار قرائحهم ، ورأوا في المنتدى تحقيق الآمال والمآرب ، والطريق القويم نحو تحقيق النهضة والرقي والاصلاح ، فهذا الشيخ محمد علي اليعقوبي يقول :

---

(١) وكان من أعضاء المنتدى النشيطين الأوائل راجع العرفان المجلد ٤٢٩/٢٧ (سنة ١٩٣٧) .

(٢) انظر نظام منتدى النشر ، المطبوع في النجف سنة ١٩٥٥ ، في ٤٠ ص ، مع ملاحظة النشاطات المكثّفة والأفكار المتجددة التي تحفل بها مجلة البذرة ومجلة النجف وكلاهما لسان حال المنتدى .

(٣) مجلة العرفان ، المجلد ٥٧٨/٣١ سنة ١٩٤٢ .

سما المنتدى فضلاً على كل معهد ... لذلك أضحت تشكر الناس فضله
حذا حذوه بالجد والسعي فرعه ... ولا عجب أن يتبع الفرع أصله
ألا أيها النشيء الذي سار راقياً ... بأوج المعالي مرتقى ما أجلّه

وهذا الشيخ محمد جواد الغبّان منشداً :

منتدى النشر وكم من نهضة ... أحدثت في عالم الفكر انقلابا
منتدى النشر ، اسلمي باقية ... فلقد حققت للجيل الرغابا
سرت بالنشر إلى آماله ... فجنى منها الذي لذَّ وطابا
أنت قد أنقذته من بعد ما ... انشب الطيش به ظفراً ونابا
تلك أعمالك لا تحصى وهلْ ... أحد يستطيع للنجم حسابا
هي أعمال تسامى ذكرها ... فرواها الدهر أنغاماً عذابا

وفي غضون هذه الفكرة الموجزة عن المنتدى تتضح أهمية هذه المؤسسة في بلد يزخر بالتيارات الأدبية والعلمية ويضج بالصراعات المختلفة ، وأمامها وقف المنتدى يناطح ويكافح حتى ثبت جذره وشاع ذكره وسار بين الركبان أمره وعاش الوائلي في خضمها فتقاذفته أمواج الصراع بين القديم والجديد ، ولاقى مؤسسها الحجة الراحل ومؤازرونه الكثير من الأعباء ، وفي العام ١٩٦٣ تجدد الطيش والبلاء وتعرض المنتدى لهزات عنيفة في محيطه ، وبقي الوائلي على إخلاصه له بل وصرح بذلك - لا خائفاً ولا وجلاً - عبر قصيد دافق ضمنه دفاعه المستميت وثورته الصارخة في وجه أعدائه فاسمعه قائلاً :

نجّاك عبر التيه أنّك بيرق ... ووقاك عند الموج أنّك زورق
لا ترهبي أن يغرقوك بضجة ... فأبوك عهدي سابح لا يغرق
شدّت بكاهله الخطوب فأدَّها ... ثقلاً وما أدّته سود تطرق
ورمته أُمٌّ بالعقوق فكذبت ... كفٌّ تذود وفكرة تتألق
المسرج الأذهان يطعم جوعها ... قلباً على اللهب المقدّس يحرق
والمنكر الذّات التي لو رامها ... لتضخّمت ذات واخصب مرفق
لكنَّ ذات العاملين وجودها ... هدف وإن وعر الطريق يحقق
ولتنمحي من بعد ذلك ذاتها ... ما عاش رقم بالمكاسب ينطق

* * *

غُذّي فإنَّ الدرب يعرف من مشى ... متشأب الخطوات ممن اعنقوا
إن الذي نبزوك حين تبيّنوا ... رجعوا إليك وكذّبوا ما لفّقوا

رفقـــاً بعـــاقـــرة تهـــزُّ بمهـــدهـــا خلواً لتهـــــرب من فـــــراغٍ يقلق

وبهذا النفس المفعم بالآمال الكبيرة المعلقة على جمعية منتدى النشر استلم الوائلي منصباً خليقاً به فماذا حقق من ذلك ؟

والحق أقول أن المنتدى شهد في زمانه نهضة موفقة ، بعد فترة ركود نسبي بعد وفاة عميده ومؤسسه العلامة المصلح الشيخ محمد رضا المظفر ، فشجع الوائلي بمؤازرة أعضائه الاعلام إقامة الندوات الثقافية ، ونشرت مجموعة لا بأس بها من كتب التراث الاسلامي ، وشهدت النجف على عهده أول معرض للكتاب النجفي ، وشيّدت كلية الفقه التابعة للمنتدى تشييداً جديداً رائعاً يليق بها وعودلت الشهادات التي تمنحها الى المستوى الرسمي الأكاديمي - وإن كان تستحق أكثر من ذلك . . وغير ذلك من النشاط المثمر ، ولو استمر به الحال وسلم من الأهوال لا ينعت غرساته ، وأثمرت ادارته من الطيبات أضعافاً مضاعفة .

شاعرية الوائلي

إلى جانب ما كان للوائلي من أثر في الخطابة الحسينية عالج قرض الشعر ، على طراز وأسلوب شعراء (النجف) الأقوياء ، ولذا اشتهرت بعض أشعاره بين طبقات الشعب ، وتتابعت روائعه تروى بين طلاب الأدب وعشاق الشعر ، ولنبدأ بحكايته مع الشعر منذ البداية ، فالنجف كما قدمنا مدينة شاعرة ، والشعر لدى أبنائها سهل يسير ، والوائلي أحد هؤلاء الذين نشأوا في بيئتها الشعرية الخصبة ، وتأثر بمحيطها الشعري العام وتربّوا في ظل نهضتها العلمية والأدبية المتزنة . فأخذ يعب الشعر من مجالس النجف ومنتدياتها منذ صغره ، ثم طفق يقرأ لمجموعة كبيرة من الشعراء المتقدمين مثل شعراء العصر الجاهلي جميعاً ، ومن العصور اللاحقة قرأ وحفظ لكل من :

المتنبي ، والبحتري ، وأبي تمام ، ومهيار الديلمي ، وابن حيوس ، والوأوأ الدمشقي ، والفرزدق ، وجرير ، والكميت ، ودعبل الخزاعي ، والعرجي ، والشريف الرضي ، كما قرأ الترجمات المتوفرة لاشعار عمر الخيام وسعدي الشيرازي .

ومن المعاصرين : أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومعروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي ، ومحمد مهدي الجواهري ، ومحمد سليمان الأحمد - بدوي الجبل - وتأثر بشعراء النجف - بالاضافة إلى الجواهري - الشيخ محمد جواد الشبيبي ، ومحمد رضا الشبيبي ، وعبد الرزاق محي الدين ، وكان لتفاعله مع الوسط الأدبي النجفي الأثر البارز في الفكرة والعاطفة المتدفقة في شعره ، حيث عاش الوائلي أحداث عصره الاجتماعية والسياسية برهافة في الحس ،

وعمق في الوعي ساير التطورات الفكرية وتابع أساليبها ومادتها ومناهجها ، وقد تركت الأحداث العاصفة التي مرّت بتأريخ العراق المعاصر بصماتها واضحة في شعره ابتداءاً من ثورة العشرين حتى الوضع الراهن إذ ولد الوائلي وثمان سنوات مرّت على الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، من غير أي نتيجة تذكر ، صحيح أنه لم يعاصر هذا الحدث السياسي الضخم الذي حدد مستقبل العراق فيما بعد ، لكنه عاصر الموجة الغاضبة من اليأس التي أعقبت الثورة وتلبدت بها قلوب العراقيين حيث ربح ثمار الثورة غير أهلها وكسب خيراتها الأعداء من النفعيين والمتفرّجين ، بينما نرى الفراتي المقاتل والمضحي قد خاب أمله المنشود حيث انتقم الانجليز لرجالات الثورة وجنودها وأهلها :

ففي (الرميثة) من هاماتنا سمة ... وفي (الشعيبة) من أسلافنا نصب
و(العارضيات) أمجاد مخلدة ... أضحى يحدّث عنها الدهر والكتب
فالجو طائرة والأرض قنبلة ... وبالجهات البواقي مدفع حرب
وخضت بحراً دماء الصيد ترقده ... وما السفائن إلا الضمر العرب
ثم انجلت وحشود من احبتنا ... صرعى على القاع تسفي فوقها الترب
فذا قوام وكان الغصن منكسر ... وذاك وجه وكان البدر محتجب
وتلك امّ يلفّ الوجه أضلعها ... على جنين ابوه في العرا ترب
قد افلت الامل المنشود فهي على ... جمر من الألم المكبوت تضطرب
حتى احتضنا امانينا وصار لنا ... بين الممالك من جاراتنا لقب
جاء الزعانف من حلف الفضول ومن ... اذنابه فأرانا اننا الذنب
انحى بمنجله حصداً وخلّفنا ... لا سلّة يجتنى فيها ولا عنب[1]

ولم تبرح الصورة القاتمة التي خلّفها الانجليز في العراق ، عالقة في ذهنه ، مصورة في ذاكرته ، وعندما يزور لندن ، يقف على نهر التايمس المشمخر المتكبر ، يسترجع الشاعر ذكريات الأسى ومشاهد الفقر والحرمان الذي سببه الاحتلال الانجليزي للعراق ، فاسمعه قائلاً :

اتذكر يا شاطىء التيمس ... شواطىء من دمنا تكتسي
لنا في مناكبها جنة ... بغير الاضالع لم تغرس

---

(١) من قصيدة للوائلي في رثاء السيد عيسى آل كمال الدين من رجالات ثورة العشرين (ولد عام ١٢٨٨هـ) وتوفي بغداد في ٢١ رمضان ١٣٧٢هـ

ولوعة ام بجنب القتيل   ودمع اب صابر مُؤتسي
فنحن مع الحزن في مجلس   وانت من الورد في مجلس
واذ ليل اكواخنا تستحيل   كواكب في ليلة كرسمس
واذ عرق الضمَّر الكادحين   وذوب الحشاشة والانفس
يعود هوىً في عيون الحسان   واشذاء في اعين النرجس
وإذ تحضن الترب اكواخنا   ليُفرش دربُك بالسندس

★ ★ ★

اتذكر يا شاطىء التيمس   ملاعب سوطك في الأرؤس
وانت بأجسادنا مخلب   سوى العنق الحرِّ لم يغرس
غرستم بها الحقد عند الشعوب   ويابئس ذلك من مغرس
وما زال يا منطق الابتزاز   لسانك للآن لم يخرس

وبالرغم من قضاء الانجليز على ثورة العشرين قضاءاً عسكرياً ، إلّا أن أهدافها المثلى كانت في ضمير كل عراقي حرّ غيور على أمته وشعبه ، ولم يعكّر ذلك صفو العقيدة الاسلامية في نفوس ابناء هذا البلد الثوري الخلاق ، ولما رأى المستعمرون ذلك عمدوا إلى إشاعة الأفكار الالحادية ، ونشر الدعوات العلمانية ، وإعادة العصبيات الشعوبية والقومية ، وأمدّوها بكل أسباب الدعم والتأييد ، ووضعوا الفكر الاسلامي وسط دوامة الشبهات والشكوك مما هو كذب على التاريخ والمثل والأخلاق :

والارض يحكمها رهطٌ وان نزلوا   لا ينسبون الى ما جدَّ من نظم
لو ساوموني حصىً من تحت أرجلهم   بانجم الاشتراكيين لم أسم
الكاذبين على التأريخ والمثل الغـ   ـراء والعلم والأخلاق والقيم
والحاملين شعار الكادحين وهم   محض افتراء على العمال متهم
والمدعين التساوي والسماء لهم   والارض والناس اصناف من الخدم
الناب والظفر فحواهم فما نبضت   من رحمة بهم يوماً ولا رحم
عقماً لارحام دنيا الناس ان نسلت   امثال اولاء من عرب ومن عجم

ويصب الوائلي جام غضبه على مدّعي الاشتراكية من الحاكمين المستبدين الذين يضللون الشعب الكادح بالشعارات البراقة ويعيشون هم في نعيم الحياة في ظل قصورهم الفارهة الفاخرة بينما يذوق الشعب الأمرّين من الجوع والخوف :

اشـــتراكيـــة لهم من جنـــاهـــا ... كـــل صفـــو وللشعـــوب القـــديـــد
في شعـــارات كـــادحـــين ولكن ... كـــل فـــرد لـــديـــه درّ نضيـــد
فـــارهـــاتٌ من المـــراكب تختـــال ... وبيضٌ من الاوانس غيـــــد
وليـــالٍ حمـــرٌ واصبـــاح خضر ... وصـــــدور مجلوة ونهود
واكـــدحي يـــا منـــاكب العـــري حتى ... تتهـــادى للحـــاكمـــين قـــدود
أيها الحـاكمـون جدّوا ولـــو يومـاً ... فضرب العـــدو فينـــا شـــديـــد
جـربـــوا طعنكم بـــه لا بصـــدر ... هـــو أصـــل لـــه الفـــروع تعـود
اقنعـوا هـذه النياشـين في الأكتـــاف ... ان الميـــدان فيـــه جنـــود
لا تحيـــدوا عن دربـه فهـو الحـذر ... الـــذي ربَّ عـــودكم والـــرصيـد

ويساهم الوائلي في قصائد كثيرة تلتقي كلها في الدعوة إلى حكم الله ، ومواجهة التيارات المنحرفة وإعادة الفكر الإسلامي إلى موقعه السليم والطبيعي في نفوس المسلمين :

رب رحمـــاك ذوّبتنـــا الـــرزايـــا ... واللظى قـــد يـذوب منـه الحـديـد
كُفَّ نعمى الحكـــام عنـــا فـــإنّـــا ... نحـــو هـذي النعـماء فينـا جحـود
وأعنّـــا عـــلى الـــوصـــول لحكم ... من معـــانيـــك ظله ممـــدود

ودافع الوائلي عن أفكاره المستمدة من روحية الإسلام ، دفاعاً مستميتاً ، لا بالقول وحسب ، بل بدخوله في معترك السياسة التي برز فيها أول ما برز بانتمائه إلى (حركة جماعة العلماء) في النجف الأشرف ، وكان من الأعضاء الأوائل الذين ساهموا في إنشاء هذه الجماعة مع نخبة من أعلام النجف ، وفيهم جيل من الفقهاء والأساتذة ، من أمثال الشيخ مرتضى آل ياسين ، والسيد باقر الشخص ، والشيخ محمد رضا المظفر ، والسيد موسى السيد جعفر بحر العلوم ، وكان من مهام الجماعة السعي إلى نشر كلمة الله ، والتنبيه على مظالم الشعب العراقي ، والوقوف أمام المد الأحمر العارم الذي هزّ العراق من أقصاه إلى أقصاه أواخر الخمسينات ، فكان الوائلي محاججاً لدوداً ، ومخاصماً عنيداً للشيوعية في فترة شهدت عنفوان المدّ الشيوعي في العراق ، وليس من المستغرب أن يتعرض لمحاولة اغتيال إبان تلك الفترة ، عندما كان ضيفاً على الحاج عبد الحسين جيته كوكل بالبصرة ، لأنه كان يعرض بالحكم القائم ويؤلب عليه الجمهور ، ويثير العامة ، للتمرد والثورة ، وفي قصيدة له عام ١٩٥٩ ألقاها في حفل حاشد عُقد في النجف ، وجّه انتقاداً قاسياً للزعيم عبد الكريم قاسم الذي أظهر مودة للشيوعيين في حينه فقال :

وعاد يزأر في النادي الوديع فتىً ... مُفَيهق صوته كالصخر ينحدر
يحكي البطولات كالصبيان ان ركبوا ... عصيَّهم جسبوها الخيلَ تبتدر
وحوله نفر يروون من خدعٍ ... له الهدير ليروي انَّهم هدروا
وهو الذي كان لا يسطيع من هلعٍ ... ان تستقر على اعطافه الأزُرُ
ايام لا نحن في سلم فيمنعنا ... ولا بحرب فندري كيف نعتجر
اغراب لا نحن من قيس فتمنعنا ... ولا قريش فيحمي رحلنا مضر
مشى لنا ، غرباء ، لو بساعدهم ... لهان ، لكنّهم ظلٌّ لمن امروا
تقسمونا فإغراء لمن رقصوا ... رقص القرود وضغط للذي صبروا

ويتفاءل خيراً بفتوى الإمام السيد محسن الحكيم وبقية العلماء الأعلام بتحريم الانتماء للحزب الشيوعي ، فيقول :

حتى تداركنا كالرعد منطلقاً ... صوتُ الفتاوى على أفواه من زأروا
دوّى بها نفرٌ من خير قادتنا ... عند الخطوب ، فمرحى أيُّها النفر
فانجاب ليل وولَّت ظلمة ومشى ... ضوء ورفرف فتح ابلج نضر

ثم نرى انه يقف موقف الريبة من انحسار المدّ الأحمر ، حيث كان اكثر الشعب يفتقر للوعي والثقافة ، وحيث ان الاستعمار ما زال متربصاً لشعبنا يحيك المؤامرات :

لكنني وبقايا الكأس ما برحت ... تغري النشاوى أرى أن يُؤخذ الحذر
فإن ذبذبة (الأنواء) ما برحت ... والبوق للنفخ ما ينفك ينتظر
وشيمة النَّفر المسعور تخبرنا ... بانهم يُهلكون الحرثَ لو قدروا
فأججوا الدَّمَ عزماً في ترائبنا ... باسم الحسين ليوم الهول يُدَّخر[1]

ويصور الواقع المرّ الذي مرّ به العراق خلال هذه الفترة عام ١٩٦٠ :

بغداد لا مرَّت عليكِ بشرّها ... دهماء تعقد في سماك سحابا
مطرت عليكِ شراذماً ممسوخة ... حشدت على أرواحنا الأوصابا
وغريبة عن فكرنا ودمائنا ... فيها أتته وتدَّعي الانسابا
درست على ابن الغاب تأخذ دوره ... حتى تخيلت الحياة الغابا

---

(١) نُشرت هذه القصيدة في مجلة الأضواء عام ١٩٥٩ بعد حذف المقاطع المتضمنة لنقد الحكومة وعلّقت المجلة على ذلك بما يلي : «هذه القصيدة هي قصيدة الحفل ، ولكن حالت دونها بعض الموانع التي لا تعترف بها الأضواء فأثبتتها دون التي القيت . .»

وأدت تـطلعنـا وداست عـزنـا ... وتغـرزت بجسـومنـا انيـابـا
وتفـاخـرت في قتلنـا وتـوزَّعت ... منّـا جسـومـاً بضّـة ورقـابـا
منحت صـدور النـابغـين لفضلهـا ... بـدل الـوسـام اسنـةً وحـرابـا
ووراءهـا من بعـد ذلـك معشرٌ ... يبكي القتيـلَ وينهب الاسـلابـا
ولقـد وقفنـا خـاشعـين حيـالهـا ... لنحطَّ من عسـلٍ رمتـه ذبـابـا
واذلَّ من سكن البسيـطة امـة ... عـاشت تهـادن مسرفـاً كـذابـا
أو بعـد ان قفـز الـزمـان بـأهله ... عـدنـا نعـايش اكلبـاً وذئـابـا
يـا رب عطفـك ان تعـود ضـوابط ... مسخـاً وينقلب النعيم عـذابـا
يـارب عفـوك ان تجف منـابـع ... ويعـود مخضـلُّ الخميـل تـرابـا
يـارب لـطفـك ان نمجّـدَ تـافهـاً ... او نعبـد الازلام والانصـابـا

ولم تختلف هذه الصورة التي رسمها الوائلي هنا عن الوضع الخطير في العراق ، بل تفاقم شرّاً وازداد سوءاً على عهد (عبد السلام عارف) وكان مما تميز به عهده اثارته للنعرات الجاهلية والطائفية لتيسير سيطرته على أبناء الشعب ، مما دعا الوائلي إلى مهاجمة الوضع القائم :

فيـا بـاعثيهـا نعـرة جـاهليـة ... (محمـدُ) واراهـا الـتُّرابَ تـورّعـوا
عـذرتكمُ لـو ان مـا تنبشـونـه ... عـظام ولكن جيفـة وهي ابشـع
ولـو ان مـا تبغـونـه من ورائهـا ... خفيٌّ لقلنـا عـابث سـوف يقلع
ولكنـه الكـرسي مهـما بَـرَعْتُمُ ... الخـداع يُغـطي رأسـه ثم يـطلع

وفي القصيدة نفسها يعرّض الوائلي بالرئيس عارف ويحمله مسؤولية الحالة المتأزمة التي وصل إليها العراق ، ويصبّ عليه من انتقاده الشديد دون مواربة أو وازع من خوف ، مع انه ألقاها بنفسه في حفلة كبرى عقدت في النجف عام ١٩٦٤ في ظل التوتر وانعدام الثقة بين المواطنين والحكومة آنذاك ، وكان مما قاله :

(محمد) هـل يـرضى جهـادَك تـافـه ... تسـتر بـالاسـلام وهـو مضيِّـع
يهملج في اعقـاب كـلِّ مضلِّل ... فـلا النُصح يثنيه ولا هـو يسمـع
يخـرف في خلط تنـافـر نسجـه ... يؤد ويؤذي السمـع حـين يجعجـع
فـطوراً إلى غـربٍ يمتُّ بقـولـه ... وطـوراً إلى شـرقٍ يمتُّ وينـزع
وطـوراً يؤاخي من نسيج خيـالـه ... نقـائض فـاعجب للنقـائض تُجمـع
مفـاهيم لينينيـة في جـذورهـا ... عليهـا من اسم الله ثـوبٌ وبـرقـع

وإذاكان للوائلي ثمة حصانة في مدينته النجف كونها بلد المرجعية الدينية القويّة التي ينتميْ إليها الوائلي ، ويمثل بعض طلائع نهضتها ، ولاعتبارات عائلية واجتماعية تتميز بها مدينة النجف التي حملت سمة المعارضة لجميع الحكومات السابقة واللاحقة ، ربما يكون لهذا كله أثره في إقدامه وعدم تورعه في مهاجمة السلطة ، لكن الوائلي الذكي استغل هذه الظروف مع الضعف البيّن في الحكومة ، وبلغت به الجرأة والاستبسال ان يقف في بغداد وقفة مشهودة فينقد السلطة في مركزها وأمام أركانها وأزلامها ، وفي وسط أدبي وفكري رفيع المستوى من البلاد العربية ، وذلك في مؤتمر الأدباء العرب الخامس عام ١٩٦٥ :

بغداد يومك لا يزال كأسه ... صورٌ على طرفي نقيض تجمع
يطغى النعيم بجانب وبجانب ... يطغى الشقا فمرفّه ومضيع
في القصر اغنية على شفةِ الهوى ... والكوخ دمعٌ في المحاجر يلذع
ومن الطوى جنب البيادر صرّع ... وبجنب زق ابي نؤاس صرّع
ويد تكبّل وهي مما يُفتدى ... ويدٌ تقبّل وهي مما يُقطع
وبراءة بيد الطغاة مهانة ... ودناءة بيد المبرِّر تصنع
ويصان ذاك لأنه من معشر ... ويضام ذاك لأنّه لا يركع
كبرت مفارقة يمثّل دورُها ... باسم العروبة والعروبةُ ارفع
فتبيّني هذي المهازل واحذري ... من مثلها فوراء ذلك إصبع
شُدّي وهزي الليل في جبروته ... وبعهدتي انَّ الكواكب تطلع

والوائلي حين يستنهض ابناء العروبة لصيانة مفهوم العروبة من الانحراف ، فهي عنده مبدأ اسمى وأرفع من أن تشوهه الطغاة ، ورابطة خيّرة تدعو للالفة والمحبة بعيداً عن التشاحن والتلاعن ، عروبة ذابت في الاسلام وذاب فيها ، عروبة صهرها الاسلام من جديد ، فعادت تهز العالم من أقصاه إلى أقصاه بالمغاوير الذين أدركوا هديهم ووعيهم الرسالي ، فمضوا يدكّون حصون الشرك ، ويتسنمون ذرى المجد في الأعالي ، ويسطرون ملاحم النصر والفداء والأصالة :

يا ضفاف الفراتِ كم فيك غيلٌ ... ماردٌ ينشئُ المواليد أُسدا
والمغاوير الحمر يوماً وسيفاً ... والمصاليت السمر وجهاً وزندا
عرفتهم ملاحمُ المجد سيفاً ... يعربياً يأبى مدى الدهر غمدا
يعلكون الرصاص في الحرب قوتاً ... ويعبون من دم النحر وردا
ادركوا بالإسلام هدياً فإن ... صالوا رأيت الميدان بدراً وأُحدا

وإذا استنسبوا دعا البعض شيـ ـبان وبعضٌ بكراً وبعضٌ معدّا
ومشوا في الوغى من السيف امضى وبدرب الهدى من النور أهدى

ويقول في اخرى مستنهضاً ومذكّراً بفلسطين :

فانهدوا ان للعروبة جذراً من سرايا (محمد) يمتاح
إذ (علي) يدك (خيبر) في عزم روته عنه القنا والصفاح
نحن بين الحياة في حكم (إسرائيل) شعباً يدوسه الذبّاح
أو كراماً نعطي الدماء لتحيا امة من عطائها الارواح

وفخره بالعروبة سجله في العديد من قصائده ، من ذلك قوله :

فاني (للعربي) الصميم جذوري بيضاء لم تدنس !

وقوله :

(عربي) ملء الزمان وعزم يتلظى وصاهل نقّاح
وهو اليوم مثلما كان بالأمس هدير مزمجر وطماح

ويظهر بوضوح تأثره بالدعوة للوحدة العربية التي حمل لوائها طائفة من شباب العرب واحرار الأمة ، وفي النجف نفر منهم ، ومن بينهم المرحوم احمد الجزائري الذي عمل من أجل تلك القضية وأبلى بلاءاً حسناً وصبر على النفي والاعتقال والترهيب حتى قضى شهيداً في سبيلها فاسمعه مخاطباً إيّاه :

ايها (اليعربي) حين غزا الاجيال زيف الدّخيل والتغريب
حمل العرب بين جنبيه روحاً ورجاءاً بقلبه لا يخيب
ودعا الغافلين للوحدة الكبرى ينادي برهطه ويهيب
وتغنى بمجد سورية العرب سواء شمالها والجنوب
ذاب في اهلها جميعاً ، هلالٌ من وراء انتمائهم ام صليب
قارع الاستعمار شخصاً وفكراً فهو في ذلك القوي الحسيب
وتلظى عزماً وما نال منه النفي والاعتقال والترهيب

وتأخذه العزة بقومه والفخر بهم مأخذاً عظيماً ، ويذكر دائماً ذلك الماضي الخالد من تأريخها العريق يوم فتحت طلائع الامة آفاق الدنيا وسادت اركان الارض حاملة رسالة التوحيد والحضارة والانسانية ، وحملت مشعل الحرية الذي لا ينطفىء فانارت الطريق للأجيال من مختلف الأجناس والأعراق ، بهمة وإباء وشمم ، ينطوي على التواضع والأدب الجم ، تلك

الشمائل الأصيلة التي ما برحت شعوب الأرض تتحدث بها ، وتستاف من عبيرها ، وتستجلي من روائعها أساساً للحضارة ، ومنطلقاً للكرامة :

امتي واسـألي النجـومَ امـا كُنّـ ـا غـزاةً عـبر النجـوم نـرود
وزرعنـا الفتـوحَ في كـلِّ فـجٍ فلنـا فـوق كـل ارض شهـود
الخـدود المصعـرات وسمنـاهـا فخـرت عـلى ربـانـا الخـدود
وافـترعنا الصعـاب بـالسيف فـانها رت لـدينـا حـواجـزٌ وسـدود
ان نهدنـا للفتـح تسبقنـا الاصـ ـداء حتى تـفر منهـا الجنـود[1]
أو مشت خيلنـا تـبرجن يلثمـ ـن خـطاهـا ابـاطـح ونجـود
في محـاريبنـا التقى والهـدى والـذكـر لله لا سـواه سجـود
ولأقـلامنـا الحضـارات مـازال إلى الآن جـذرهـا مشـدود
ولامجـادنـا بكـلِّ ربـاع الارض صـرحٌ إلى السـما ممـدود

ولقد كان فهم الوائلي للعروبة عميقاً صريحاً مقروناً بعاطفة الصدق والايمان ، وقد عمقت هذا الفهم جولاته في العالم العربي وللجاليات العربية في الخارج بهدف التوجيه :

لسنـا بمعهـود عـلى ابعـادنـا يبس فـدنيـانـا الـربيـع الممـرع
ايّ الكـرائم ليس في اعنـاقهـا ممـا نسجنـاه العقـود اللمـع
ام ايّ وضّـاء وليس بجـذره قبس لنـا يجلو الـظلام مشعشـع
سدنـا فـما سـاد الشعـوب حضـارة اسمى ولا خلق اعفّ واورع
قـدنـا الفتـوح فـما تشكّى وطـأنـا فكـر ولا دين ولا من يتبـع
حتى الـرقيق تـواضعت احسـابنـا كـرمـاً فـأوليناه مـالا يـطمـع

وحديث العروبة يجرنا إلى حديث الوطن الذي يأسر لب شاعرنا الوائلي إلى حدّ يفوق الوصف ، ولا عجب فالوائلي وطني أصيل ونجفي صميم عاش حياة النجف في أصولها وتقاليدها ، ومارس صور هذه الحياة ممارسة متصلة بأعماق نفسه وأحب هذه المدينة حبّاً يصل إلى حدّ الفتنة بها :

حنيني إلى وادي الغـري وقبـة يغـازلهـا نجم السنـا ويـلاعب
عليهـا لعـاب الشمس تـبر وتحتهـا ائمـة عـرفـانٍ وحـبر وراهب
تقـاة اصابـوا من عـلي اخـا هـدىً وحـبر تقى ، والصـالحـات نسـائب

---

(١) لا يخفى ما في هذا البيت من لفتة ذكية إلى قوله ﷺ : «نصرت على الرعب على مسافة شهر . .».

وتـاقـوا إلى المثـوى الاخير بجنبـه ونعم (عـلي) في الشـدائـد صاحب
فـلا زلت يـاوادي الغـري خميلة تمـر عليهـا الغـاديـات السـواكب

ويلجأ الشاعر إلى (راوية) حيث مرقد السيدة زينب بنت علي (ع) وفيها يجد بعض ما يسليه ويعوضه عن العتبات المقدسة التي دأب على زيارتها كل عام :

دأبت ازورك في كـلِّ عـام وألثم تـربـك يـاابن النبي
ومـرت سنـين ولم أجتـلي سـماتـك في روضـك الأطيب
بعيـد ضريحـك عن راحتي ولستَ بعيـداً على مـطلبي
وحـين نـأى الـطف زرت الشـآم وحـدت (لـراويـةٍ) مـركبي
الى حـدث فيـه منـك المثـال تحـدَّر من جـذرك المنجب
فـأنت أراك بكـلّ عـلاك هنـا قـد تجسـدت في زينب

غير أن (قبة علي) و(وادي السلام) لن تفارقنا مخيّلته فهما مظهران بارزان من مظاهر نجفه البعيد وطالما استأثرا باهتمام الشاعر ولا ريب في ذلك لأنه عرف عندهما ذاته ونشأ بين متالعهما :

تحيـة أيُّهـا الـوادي الحبيب إلى رُبى اليهـا النجوم الزُّهـر تنجـذب
يلوح في لابتيهـا من (ابي حسن) وجـه ومن قسمـاتٍ منـه تختضب
غفت مـلايين آمـال بـتربتهـا الـ ـسمـراء فهي على ابعـادهـا كثب
لو عن ثغور بهـا نمَّ الثرى لغـدت تلك المتـالـع فيهـا ينبت الشنب

ويقف على (الفرات) العظيم ، فيستثير مشاعره وكوامن افكاره بل يأسر نواظره فلن يصدر عنه إلّا عن هذه الخطرات المخضلات :

اسرت نـاظـري فلن يُسـتردا خـطرات عـلى الفـرات المفـدّى
الجـلال المهيب في المتن نخـلاً والجـمال الأنيق في الحـرف وردا
وحشـود الامـواج تحضن بعضـاً فـتراهـا حِـشـداً يـعـانـق حـشـدا
ورفيف الظلال من فارع الصفصاف يضفي عـلى الشـواطىء بـردا
وخـطوط الشعـاع مـا بـين سعف النخـل تهمي فتنسج الشمس بُـردا
وتمـور الأجـواء من وكفهـا السـائـل يجـري فيمـلأ الافق رأدا
والنـواعـير ذكـريـات رقـاق خلّدت بـالغـرام ليـلى ودعـدا
والهيـام المسحـورُ من كـل هـذا يتلظى عشقـاً ويـزفـر وجـدا

ومن في مثل عاطفته المشبوبة كيف يطيق بُعداً عن وطنه ؟ وإذا تحقق هذا فعلاً ، فما ستكون ردّة الفعل ؟ . والواقع انها بدأت خفيفة ثم ازدادت تحقيداً ، وستعرف ذلك فيما بعد ،

والصورة الاولى التي رسمها لأول وهلة صورة قديمة لا روح فيها سبقه الكثيرون إلى تصويرها ذلك انها من قبيل (الجسم في وطن والروح في وطن) غير انك تحسّ في مقطوعته التي أرسلها إلى نجله محمد حسين عام ١٩٨٠ بعد أشهر من غربته ، تحس حنيناً شجياً من قلب وامق أسره الحب وأمضّ به النوى ، ولعبت به الاشواق أيّ لعب !

بُنيّ تقاضاني الهوى بعض ماله ... فـرحت وبي مما تقاضى متاعب
فجسمي بارض الشام والروح عندكم ... وقلبي الى واديكم يتـواثب
واني وان تحنو عليَّ مرابع ... واهل بأرباض الشآم اعارب
فـانّي كـوفي الهوى تستميلني ... بأرض الفراتين الرُّبى والمناكب
ولا ارتضي إلا الفرات ومـاءه ... ونخلاً يناغيه الهوى ويداعب
مطالع شمس بالفرات أحبُّها ... وفي دجلة تسبى عيون المغارب
ورمل بأكناف الغري مذهّب ... تنث عليه بالعبير السحائب
به للظباء النافرات مسارح ... وللمرقلات الضابحات مقانب
ورهط على احسابهم وفعالهم ... حسان مزايا تجتلي ومناقب
هنالك جسمي والفؤاد وأولي ... وآخر ما اصبو له والمآرب

ثم بدأت بعد حين سحائب الكآبة تملأ عينيه ، وأخذت بوادر الأمل تتبدد من الطريق أمامه :

أحباي ما أقسى على البعد غربتي ... واعنف وقع الحزن مما اصوِّر
وبعض احبائي بعيد وبعضهم ... يُغيَّب في عفر التراب ويُقبر
وهيهات ان اسلو وللموت والنوى ... معاولُ في قلبي تحزّ وتحفر
ولم يبق عندي غير رجع من الصدى ... يريني طيوفاً منكم ويعبِّر
ولولاه ما عاشت بقايا لنابضٍ ... تلازمه البلوى فيذوى ويعصر

ويثقل عليه الحزن فيلتجىء إلى القوافي ويحملها همومه وآهاته :

تغرب حزني فاستحال اغانياً ... وقد يبدع الألحان حزنٌ تغربا
وعندي قوافٍ من هموم حملتها ... فما بعض شعري غير همٍّ تعرّبا
وما هز أوتار الحشى مثل لاعج ... فأبكى كما شاء البكاء واطربا
وللحزن خمرٌ صاغ كل ملاحم ... وصالاً وهجراناً وعشقاً ترهّبا
تقلب بين الجمر والخمر خافقي ... فيا لفؤاد بين ذين تقلبا
واخلد للأحزان حتى عشقنه ... وغازلنه إلفاً وتربا محببا

فعاش ولم يعرف سوى الحزن والجوى فلو مرت الأفراح فيه تعجبا

ويأنس الشاعر احياناً بغربته ، ويرى فيها ترويضاً لجماحه ، وتقوية لعزمه على مواجهة صعوبات الحياة عبر كفاحه الطويل الذي اختطه منذ نعومة أظفاره :

وتؤنسني في غربة بعض ما بها تغوّل عزمي واستراض جماحي
فقد نازلتني النائبات وهكذا قطعت حياتي كلها بكفاح
تقصدن ضعفي حين لا من صلابة ولا من مجن سابغ وسلاح
واسلمني للوجد شلواً ممزقاً انيني انغامي ودمعي راحي
فبعض همومي يستجير ببعضها وبعض جراحي يشتكي لجراحي

ويأتي العيد ، وهو بعيد عن دياره ، وأهله ، وأحبابه ، فيتمثله في الغربة مثقلا بالأحزان ، ويتمنى لو أنّه لم يقع ، وطبوله لم تقرع ، ثم كأنه يستمد هاجساً من رجولته وكفاحه ، فيحسب همومه مدعاة لعزته وترويضاً لهمته :

ويا أيها العيد في غربتي وددت طبولك لم تقرع
فما عاد وقعك في غربتي سبته الهموم بذي موقع
وللهم فعل يعيد الحياة اسىً والنـ ـهار إلى اسفع
سأبقى بحزني اغني النجوم واشرب خمري من ادمعي
وأقتات طيف بلادي هوىً قويَّ الشكيمة لم يخنع

ويمدّ براحتيه قِبل المسجد الحرام الذي بارك الله من حوله ، داعياً الله ضارعاً له بطرف لم ترقأ فيه الدمعة ، ولن تهدأ العبرة ، ان يحفظ أهله من كل سوء مردّه البعد والضنى والفراق الصعب الطويل :

ولي وطن فيه اذوب وصبية بنيتُهم من ادمعي ودمائي
وكلهم قد مسه الضر والأذى وبات على قيد مع السجناء
بكفك يارب المفاتيح كلها وناصية الاشرار والشرفاء
وانت وليّ فاكشف الضرّ والاسى فما ضرّ لو أكرمتني لِولائي
وما ضرّ لو ارسلت منك ارادة لتنهي احتكام القيد بالاسراء

ويجيل ذاكرته ، فتمر بخاطره صورة مشرقة من ذكريات الوطن فيستبد به الحنين وينازعه الشوق لان يبذل نفسه في سبيله ، وان يضحي بكل ما عنده تعبيراً عن الاخلاص :

بلدي يعيش اخو السلو بنعمةٍ وانا اعيش البُعد في لأواء
حمّلت عيني والنجوم اليّةً ان يحرساك بعتمة الظلماء

ولــو أن أضلاعي تفيـك جعلتهـا سـوراً يصـونـك من اذىً وبـلاء
يـا كـل اهـلي والحنـين سجيـة للكـل تسكن فـطرة الأجـزاء
ابعث قليـلاً من شـذاك فـانني استـاف عـطر رمـالـك العفـراء
انـا بعض تربك بنت عنه بـرهـة وغـداً يطول لـدى ثـراك ثـوائي

ويبقى التمني بالعودة غاية شاعرنا الوامق ، ذلك انه يخفف بعض غلوائه ، ويجد فيه تعلة للنفس من شدة همومه وبلوائه ، فيرتسم الأمل أمامه مؤذناً بغدٍ سخيٍ ، وكم في التمني من بهجة للنفس ومتعة للروح إذ به تحيا وعليه تعيش ، مع انه شائك المسلك ، وقليل منه لايُدرك :

امنيـاتي بـأن نعـود لـواديـه فـواديـه مهـدُ علم ونـور
فننقي نفـوسنـا في غـديـر (لعـلي) فهـو النقي الطهور
ونـروي مشـاشنـا من غـير لم يضـارعـه مـا علمت غـير
ونشـد الغـداة بـالأمس صنـواً نـديّـاً وأن الـحّ الهجـير

أما الشكوى عنده فتجدها في شعره كثيرة رائجة وهو أمر انطبع عليه ذوقه بفعل امارات الحزن والانفعال الدائم :

ويـاضيعـة الانسـان بـين معـاشر ترى فيه أدنى قيمة من نوى القسب

ويبدو لي ان الوائلي عرف الناس معرفة احزنته أشد من حزنه لجهلهم إياه :

فليت ضـلالي دام في ميعة الصبـا ولامـال فيَّ الشيب يومـاً الى الهـدى
ولانضجت مني مـــدارك أبصرت لهـذي الـدنـا وجهـاً كريهاً معقـدا
ولاعشت جيـلاً كـل آن لـه هـوىً تنصر صبحـاً ثم عصـراً تهـوّدا
تمـرس في التمثيـل حتى تخـالـه لـه كـل آن مـظهـر قـد تجسـدا
ومن نكـد الايـام ان تحسب الـذي تحـول حـربـاءاً حصيفـاً مسـدَّدا
وان تتـلاشى في الحيـاة مبـادىء أخـال الدُّنـا والحق من دونها سدى

ويبلغ به الضيق ببعض هؤلاء الناس حدّاً كبيراً يتشاءم معه حتىٰ من الدنيا فيذكر كلاماً لايخلو من مؤاخذة ولعله قاله في فترة عصيبة بل في ليلة سوداوية الطالع انطوت على مزاج متعكر ونفسية محطمة :

أفهـذه دنيـاً يعيش النـاسُ في ابعـادهـا أم مبـركٌ للنـوق ؟
وأولاءِ نـاسٌ أم همُ الانعـامُ في ثـوبٍ من التجميـل والـتزويق ؟

ولما كان النجاح بجميع معانيه غاية الوائلي ، فإنَّ مايثيره أن يرى حوله فئة تتزلف كالكسيح للوصول الى هذا النجاح ، إلاّ ان نفسه الأبيّة لم ترض تلك الوسائل والدنيات ، وبدأ

ينقد (مواكب التضليل) من أولئك الذين أتخذوا العلم أقنعة للوصول الى مآربهم الشخصية مهما كلفهم الأمر من رياء ومداراة :

(نجفي) افتدي خيلك والاغصان فيه من زاحفات الرمول
ومن الشوك راح يغزوه والسعدان يمتدُ فيه عرضاً بطول

قد مشىٰ يزحم الورود فباتت ... وهي خجلىٰ ملمومةً في ذبول
واضيع المقياس فيها فأمست ... وهي مهد الأصول دون أصول
واشمخرت فيها اناس فأضحت ... لست تدري صدورها في ذيول
أيّ طعم للتمر ان نفق الحنظل ... أم أيُّ ميزة للنخيل
خدعوها بالشكل زوراً كما تخدع ... يوماً بالبوِّ أمُّ الفصيل
نحروا طفلها وجاءوا بجلد ... ملأوه بالتبن للتمثيل
أمّكم برّة فلا ترهقوها ... بالعقوق اللئيم والتنكيل
رب صُن بلدتي حقائِق فضلٍ ... وقها من مواكب التضليل[1]

ووقع الينا من ابياته الحكمية طائفة حسنة ظهرت في تضاعيف شعره ، تنبىء عن تجربة ومران وكفاح مع الحياة مرير ، وتشير بوضوح الى انه كان أكثر الاحيان يقصد اليها بروح مربٍ واعٍ لغرضه التربوي ، وهذا بعضها :

ومن خلق الشطآن ان صخورها ... جلامد مهمها استفحل المدُّ والجزر
ويرضي بغاث الطير صيد مؤمل ... ويرفض هذا في تخايله النسر
وقد يكتفي في تافه الزاد كاسل ... لأن كريم الزاد مأتاه متعب
وأقلام هذي الناس كالناس نفسها ... ففي بعضها رجس وفي بعضها طهر
قد يخدع الوهم سكراناً فيجعله ... يظن أن الذي في كأسه القمر
فالمجد يحتقر الجبان لأنه ... شرب الصدى وعلى يديه المنبع
وتعجبت ! كيف نجهل حتى الآن ... ماكل أحمر تفاح !
وتلك قواميس الحياة فسابق ... له التمر والتالي جناه جذوع

(١) سبقه الصافي الى رسم صورة محزنة لما آلت اليه بعض الأوضاع وانعدام المقاييس في النجف لكنها صورة قاتمة قصد بها النكتة والسخرية معاً ، فقال :

إن الغري بلدة يصحّ أن ... تسكنها الشيوخ والعجائز
فصادرات بلدتي عمائم ... وواردات بلدتي جنائز
ما شغل أهلها سوى بطالة ... فلا يقيم ثمّ إلّا العاجز

خلق النجوم بدفئها وشعاعها حتى لمتتنة الحضيض تزود
مهلاً فما مدح اللباب بقشره والسيف يبني المجد وهو مجرد
فبحيث تجتمع الورود فراشة وبحيث ليلى يوجد المجنون
ولو كان في الأفق بعض النجوم لما ظلّ في ليلهِ القاتم(١)
أسأل العود دون شدّ وقرع هل شدا في لحونه وتغنى
قد عذرت الخفاش أن آثر الليل فهذا مزاجه المطبوع
فاحفظ فما تغني التجاربُ غافلاً وضع الحصيل بمزودٍ مخروق
قد يُصاغ الانسان حدوة بغل أو يصاغ الانسان سيفاً صقيلاً
وليس سيان من يرعى بشاهقة مع الكواكب أو يرعى مع الغنم
إن الدماء جلال في جراح وغىً ولاجلال لها في جرح محتجم
وسيعيا التراب ان يدفن الانغام فالجرس في الثرى لايغيب
وسواء على الكسيح أكان الساق مقيداً أو طليقا
وماكل بحار يقود سفينة وماكل كبش صالُح لنطاح

أما العاطفة في شعر الوائلي فإنها تلعب دوراً مهماً وأساسياً ، انها جياشة ترفرف اجنحتها بخيلاء فوق القريض الذي يبعثه الينا في جو يكون غالباً محموماً وأكثر مايبرز ذلك في شعره الموجّه الى اولاده فقد سكب من روحه نفحات تربعت على عرش لها منسق الهندسة فضفاض الخيال استوحى فيها معاني الطفولة ولذّاتها وصورها المطبوعة في خاطر الآباء وجسدها في اشعار مموسقة بوقع يُؤنس القلوب ويذكّر بالمحبوب :

بني وان طالت بجسمك قامة أُعَوذها بالله ، وأخضرِّ شارب
وبانت على الافعال منك رجولة وعزم اذا ما استبهم الأمر ثاقب
فما زلت في عينيّ طفلاً بمهده ينطُّ كما نطَّ الصغار الارانب
وفرخاً أُغذيه فإن فترت يدي عن الأكل يلوي وجهه ويشاغب
ويوسعني شتماً فالتذ شتمه والقم كفيه فمي وهو غاضب
وأمسح خدّيه إذا سال فيهما لعاب وأوذي عضوه وأداعب
واسرق من العابه لأغيظه وأقذف منه بالنوى وأحارب

---

(١) هذا المعنى كرره في قصيدة اخرى :

فإذا النجم لم يلح في سماء آثر الليل أن يقيم طويلا

أحسّ اذا انفاسه لفحت فمي نعيماً وترتاح الاماني اللواغب
وألمح في عينيه كلّ خصائصي وقد أتمنىٰ فيه ما أنا راغب
ستبقى الخميل الخصب في متخيَّل وتبقىٰ الحديث الحلو حين يجاذب

ومن قصائده الجميلة يطيب لي أن انتخب هذه الأبيات الحلوة المليئة بالحنان والعاطفة من القصائد التي وجّهها الى اطفاله ، وهي على ما أظن من أكثر قصائد الديوان صدقاً وحرارة :

طيوفك الحلوة الوسنىٰ بُنيَّ (علي) في كل درب أراها وهي تضحك لي
ملأت كلَّ جهاتي والزمان فلا وجه ولازمن إلاّ وفيه (علي)
أراك في كل طفل في الطريق مشىٰ يدحو برجليه مايلقاه من زبل
يظل حين يرى في دربه جملاً لم يشتروه له يبكي على الجمل
بنيَّ ياخفقة النعمىٰ علىٰ كبد يدب فيها دبيب البرء في العلل
إذا دجا الليل شدّتني اليك رؤىً غرّاء ان حال بُعد الدار لم تحل
تجلوك في حضن ماما والكرىٰ سنة تدبُّ منه الى عينيك في مهل
تطويك للصدر في زند واغلها تشد من شعرك المجدول في خصل
تكاد تشرب من خديك قبلتها كظامىء عبَّ في علٍّ وفي نهل
تسقيك أحلىٰ حكاياها مهدهدة حتىٰ تنام على مهدٍ من العسل

وفي مرثياته دمعات صادقات لايذرفها إلّا الوفاء ، ومن خلال هذا الدمع تتوثب رؤىً واسعة عميقة تلوح كما تلوح الأشياء مغمغمة خلل الدموع ، ومن ذلك قوله في رثاء زوجته ورفيقة عمره :

رفيقة عمري هل لجرحي بلسم رحيلك ادماه وما أنقطع الدم
مددت له كفّي فلما رددتها اذا الكف مما ينزف الجرح عندم
أحاول اسلو الحزن أو أطرد الشجىٰ فيكبر حزني بالسلو ويعظم
أنام على صمت الجراح وصمتها يعبر عن حرّ الجوى ويترجم
واصحو على سكب الدموع ونوحها وللدمع ثغرٌ ربما يتكلم

ومن ذلك قوله في مرثيته لاستاذه المظفر :

لا لن يموت نديٌّ منك مؤتلق بالنيرات وللامجاد منعقد
اني وحقك لا أنفكّ تؤنسني رؤىً ويلطم وعي واقع نكد
تراك عيني وذهني يحتويك فان مددت كفي الى كفيك لا أجد
فكم مسحت عيوني علّ خادعة من الكرىٰ أخبرت ماليس يعتمد

وكم حضنت ظنوناً ان كاذبة نعتك يدفعها للفرية الحسد
لكن قبراً على رحين من بصري يشدُّني فإذا كل المنى بدد
فأرعوي للنهى تجلوك لي أفقاً رحباً يشع على ابعاده رأد
ومن عطائك فيه الف باسقة شوامخ في نداها للسما نُهُد
لايأكل الترب روحاً منك خالدةً بل كل ما للتراب الشِّلو والجسد

ولاشك ان القراء يتساءلون بعد هذا عن موقف الوائلي ـ وهو الذي كان مرشحاً قوياً ليحمل الى امته رسالة الوطنية والحرية والاصلاح ـ امام الحرب الضروس ، قد نتملس له عذراً إذا رأيناه ساكتاً ، لأن الضربة كانت أكثر مما نتصور والمحنة التي ابتليت بها الامة أكبر مما نرى ، وهي على مقدار من التعقيد الذي يصعب بسطه في هذه العجلة ، لكنه مع ملابساتها وحساسياتها انضم الى ميدان الرعاية الاجتماعية التي حتمتها طبيعة الحرب ووجه الى ذلك كل عنايته ، وكانت تمر عليه خلال ذلك صور مروّعة من الحرب البائسة فيؤجج في ذلك قوافيه ، وتهتز لذلك انغامه .

وقصيدته (سماسرة الحرب) من بين قصائده الحزينة المعبرة عن الظروف المؤلمة التي كانت تمر به من خلال صور الكآبة التي فرضتها الحرب :

ملأتم رباع الأرض بالنوح والندب كفاكم دماءً ياسماسرة الحرب
لقد ملّها وحش الفلا وتجشأت بطون الرِّمال السمر من كثرة الشرب
فأين عصور هذبت من غرائزٍ وسارت مع الانسان من أول الدرب
وعدنا لدنيا الغاب في كل مابها وحوشاً نغطي مخلب الوحش بالثوب
كفاكم دماءً ياسماسرة الحرب دعوها لرد الحق والوطن المسبي
وللشرف المجني عليه ، فأمة بلا شرف تنداس بالنعل كالترب
وليست دمانا سلعة تشترونها وما للدما أثمان عند ذوي اللب
لقد بعتم قدس الدماء وطهرها ببخسٍ من الأثمان يا أخوة الذئب
وألقيتم من أجل دنياً خسيسة وحفنة نفطٍ الفَ يوسف في الجب
كفاكم دماءً ياسماسرة الحرب أفيكم قلوب أم خلقتم بلا قلب
ومن اجل ماذا ؟ هل هناك (قضية) تراد ويضرى دونها المرء للذب

ويختتم قصيدته بالتذكير بما آلت اليه الحرب من المصائب والرزايا مؤكداً على ضرورة الوئام ، داعياً الى الوفاق والسلام ، مستوحياً من صور الطفولة البريئة التي ذاقت ويلات الحرب المرعبة ، مستلهماً من طهرهم ، معاني الأمان والطمأنينة والمستقبل الحافل بالامنيات العذاب :

كفاكم دماءً ياساسرة الحرب / ففي السِّلم مايغني عن المركب الصعب
وفي السلم كسب من حلال فجربوا / بأن تتركوا من لعبةِ الدَّم والغصب
اذا كان عمر المرء رحلة عابر / ويحوي جناه غيره ، فلمن يجبي
ملأتم رباع الأرض من علق الدِّما / وأولى بكم أن تغمروها من الخصب
زرعتم باشلاء الشباب حقولنا / وكان المنىٰ أن تزرعوهنَّ بالحَبّ
سلبتم من الاطفال ضحك ثغورهم / فأحزنتم من كان طهراً بلا ذهب
أفيضوا على الأطفال دفئاً وهدهدوا / نفوسهم بالحلو والسائغ العذب
فلانغم في الأرض من دون لغوهم / ولو لم يكونوا كانت الأرض في جدب
فياربِّ ألهمنا السلام وأمنه / ويارب ذد عنّا دهاقنة الرعب
فأنت شجبت الحرب إلّا كريمةً / وأنت جعلت السّلم أكرم ياربي

وبهذا ترى كيف ان الوائلي سجل مأساة بلاده في أبيات حزينة يلفها الضباب الكئيب .

وإذا كان هنالك مايعاب به الوائلي فهو انه عزوف لايحب الشهرة ، ويأنف أن يسلك اليها السبل التي سلكها غيره من بعض الشعراء ، وهو أزهد الناس بالشهرة التي تأتي عن طريق التهريج وجمع الانصار والحواريين ، وهو الى جانب ذلك احرص على الشعر ان يتخذ وسيلة ، لأن الشعر غاية لايبلغها إلّا النوابغ الموهوبون :

قالوا بأن الشعر لهو مرفّه / وسبيل مرتزق به يتذرع
وإذا تسامينا به فهو الصدى / للنفس يلبس ماتريد ويخلع
أن تطرب الارواح فهو غناؤها / واذا شجاها الحزن فهو الأدمع
فذروه حيث يعيش غريداً على / فَنَنٍ وملتاعاً يئن فيوجع
لاتطابوا منه فما هو بالذي / يبني ويهدم أو يضرُّ وينفع
اكبرت دور الشعر عما صوروا / وعرفت رزء الفكر في من لم يعوا
فالشعر أجج الف نارٍ وانبرىٰ / يلوي أنوف الظالمين ويجدع
لو شاء صاغ النجم عقداً ناصعاً / يزهو به عنق أرقّ وأنصع
أو شاءَ ردَّ الرَّمل من نفحاته / خضلاً بانفاس الشذىٰ يتضوع
أو شاء ردَّ الليل في اسحاره / واحات نور تستشف وتلمع
أو شاء قاد من الشعوب كتائباً / يعنو لها من كل أفق مطلع
أنا لا أريد الشعر ان جدّت بنا / نوبٌ يخلّي ماعناه ويقبع
أو ان يوش الكأس في سمر الهوى / ليضاء ليل المترفين فيسطع

أو أن يُبـــاع فيشـــتري إكليله تـاج من المدح الكـــذوب مَرصّـع
لكن أريـد الشعر وهـو بـدربنـا مجـد وسيـف في الـكفـاح وأدرع

والشعر ـ عند الوائلي ـ موقف ـ قبل أي شيء آخر :

جـنـد الشِـعـر لـلمـواقـفِ والـشـعـرُ بـلا مـوقـف كـلامٌ رتـيـب

ومثلما للشعر دوره الكبير في الحياة فإنّ للأدب عموماً رسالة يؤديها الأدباء المتلزمون حينما يتطلب الواجب وتدلهم الخطوب وقفتهم حيال الحق فيؤدوا تلك الرسالة بأمان واطمئنان غير ناكصين ولا متوانين :

سل الرسالات هل كان الأديب سوىٰ رســالــة اذ يجـدُّ الأمـر تُـرتقب
وصيحـــة تتحـدى البغي أو قبس اذا ادلهمت عـــلى أبعادنـا الخطب
وفي النـــوائب تــرجيــع لــوالهــة وفي البــطولات عــزم مــارد يثب
وفي الشقـــائق فيـــما يجتـلىٰ عبق وفي الصحـــائف فيـــما يجتنىٰ أدب

وكما أصبح واضحاً فالوائلي من اتباع المدرسة التقليدية في الشعر النجفي بل من أنصارها والمنافحين عنها ، لهذا فهو يستهجن الشعر الحر ويعتبره بدعة مؤداها عجز وقصور اصحابه عن النهوض بمستوى لانفسهم يواكبون به الأدب الرفيع الذي تتطلبه الشاعرية الأصيلة :

وفـريق تيممـوا الشعـر فـاغتـالـوه والشعـــر فكـــرنـــا المكتـــوب
مـــزّقـوا هيكـلاً لـه فـاذا الشعـر تفـــاريق مـــزقت وجيـــوب
وأذابـــوا وقـــع القـــرار بمـــوسيقـاه فـــامتص روحـــه التـــذويب
واتـــاه يستـــامـــه بعـــد نـــزع النسر من معشر البغـــاث دبيب
زعمـــوه حـــرّاً وقـــد انجبـــوه ومحـــالٌ أن ينجب المجبـــوب
إنها بـــدعـــة التبني وهيهـــات كي يســـاوى بخـــاملٍ مـــوهـــوب
هـــدفٌ صـــارخٌ وأن ســـترتـــه ظلمات الابهـــــام والتغبيب
وسيبقى في النـــاس كـــل أصيـــل ويـــــولّي لأهله المجلوب

واعتقد جازماً ان الوائلي لو جرّب النظم على المنوال الملتزم الذي نجده عند السياب مثلاً ، لاجاد فيه أيّما إجادة ، ولتخلص من عقدة وحدة القافية ليسرح في الخيال بعيداً ، راسماً صوره الشعرية المتدفقة بلا روية أو تكلف .

مختارات من أشعار الوائلي غير المنشورة

جيل الحجارة

«أوحت بها أحجار غزة ونابلس في أيدي أطفالنا تضرى في مقابلة مدافع الصهاينة» .

أربِعي (اسرائيل) فالأمرُ جِدُّ راحَ وقتٌ به يصعّرُ خَدُّ
لم يكن بالحسبان أنَّ حقوقاً هُضمت في حجارةٍ تُسْتَرَدُّ
كيف تلوي الأحجار أعتى الشظايا إنما يقهر الشديد الأشدُّ
غير أن الحجارة الحق شفعٌ حين تهوي والمدفع البغي فردُ
ومتى ضُمت العزيمة للحق فلا باب عن دعاءٍ يُسَدُّ
هكذا كان للاوائل منا دعواتٌ مع السيوف تَشِدُّ
فتنالُ النصر المبين وللنصر سبيلٌ بغيره لا يُعَدُّ
غير أنّا لما حملنا دعاءً دونَ سيفٍ لم يأتنا منه ردُّ
ايه جيل الأحجار مرَ علينا في اسار الطغيان عقدٌ وعقدُ
نكرع الذل والهوان كأنّا مالنا دون ذلك الوِرد بُدُّ
واقتضانا الضياع مسخ الهويات فلا قبل في مدانا وبَعدُ
مزقتنا الأهواء شرقاً وغرباً ونمتنا مذاهب لا تُعَدُّ
فإذا نحن ضجةٌ دون شيء وصدىً بالأضْعان والغير يعدو
وبريقُ التصنيف في الانتماءات خُداع مهما تباين حَدُّ
أيّ فرق والكل صرن إماءاً ان هذي ليلى وهاتيك هندُ
سئلتنا اشواطنا وهي ثكلى هل درينا حقاً إلى أين نعدو ؟
عبثٌ أن يسير ضعن ولا يدري لدى السير هل هنالك قَصْدُ ؟
والى أن وُلدتَ قال لنا الشوط هنا فارسٌ على الدرب يبدو
ولَكم تبدأ السيول بقَطْر ولَكم يُشعل الحرائقَ زَنْدُ
ايه جيل الأحجار خلي النياشين لركبٍ ماسٌ صدغيه وَقْدُ
عاش يعطي لنفسه كل يوم رتبةً من خياله تُستمدُّ

في امتداد السنين قد يصنع القـ ... ـادة وقدُ اللظى وعلمٌ وجهدُ
وهمُ في يومين بالمقعدِ المخمل ... والشوط كاعباتٌ وورودُ
لخّصوا الدرب فالمعاهد يسألن : ... ترى عاد للمعاجزِ عهدُ ؟
هكذا فالألقاب في الكتب سفرٌ ... والنياشين في المناكب حشدُ
فتهادى جيلَ الحجارة أنت الـ ... ـرتبُ الحق والطريق الأسَدُّ
لكَ هذا الهتاف لم تصنع الأطـ ... ـماع ايقاعَه ولا الزيف يَجُدُ
والهوى والمشاعر الحق سيفٌ ... والأماني والخافقُ القلب بَنْدُ
يا دماً سال لابن سبع وعشر ... فوق رمل فالرمل شيخٌ ورندُ
وقعته رمال (غزة) أو (نابلس) ... لحناً وغرّدت منه (لُدُّ)
وبأجراس من كنائس (رام الله) ... وقُداسه مدى الدهر خُلْدُ
ولدى (القدس) في المنائر والمحراب ... من طهره صلاةٌ ووِرْدُ
سوف تبقى على الرمال شموخاً ... ما لوى منه غاصبٌ مستبدُّ
كبرياء البارود مرّغها الرملُ ... بأحجاره فللرملِ حمدُ
حيث للبغي بالمدافع جندٌ ... ولدى الله بالحجارةِ جُندُ

★ ★ ★

يا مدىً يأسر المسامع والأبصار ... فيما لديه بعدٌ وبعدُ
الرسالاتُ في مداه نجومٌ ... والنبيون فيه هَديٌ ورُشد
فأبو الأنبياء والروح والعذراء ... قدسٌ جلاله لا يُحَدُّ
وهديرٌ فيه ملاحم كنعان ... بوعي الدهور فيه برقٌ ورعدُ
ودوالٍ تبرّج الكرم فيها ... مثلما اختال عند حسناء عقدُ
شَفَّ ماءُ الكروم حتى أغاض الـ ... ـنجم في ان يحكيه في الأرض نِدُّ
وشوى البيارات أجّج منه ... يوم قطف الليمون وصلٌ وصدُّ
والصبايا نواضجٌ كثمار التّين ... والراقصات خطوٌ ونَهدُ
تتهادى ويهمس الغصنُ والنبع ... وتغفو الزهور والطير يشدو
مهرجان بساطُه السنبلُ ... الأصفر والخيمة السما اللازورد
مسرحٌ للقلوب والفكر والعين ... بأبعاده هيامٌ ووجدُ
مهد (عيسى) رؤيةٌ حين تُسبى ... عند رجسٍ وأنت للطهر مهدُ

ويُداسُ القرآن فوقك والانجيل والضاربون عجلٌ وقردُ
صمت المصحف المرتَّل والقدّاس والقدس لا رحالٌ تُشَدُّ
حَزِن ابن البتول عيسى لقتلى رضَّعٍ عند حلمة الثدي أُرْدوا
وشبابٍ براعمٍ وصبايا زفَّهم في مواكبِ العُرس لَحْدُ
وأعدَّ الريحانَ لا لسرير العرس بل للنعوش سوّاه وعدُ
كان يغدو على العرائس اكليلاً فيا للريحان للقبر يغدو

* * *

قد سقى الرمل من مواويل حزنٍ والدٌ ثاكلٌ وأمٌّ وجدُّ
فاحملوا هذه المواويل أحجاراً إذا اشتدَّ جَزْرُنا فهي مَدُّ

نبي السَّلام

بمناسبة ولادة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

كتبَ الكون عنه في تقريره انه الكون كله في صغيره
وهو للعالمين طُراً عطاءٌ فعلامَ الاصرار في تنصيره
مولدٌ للفداء جسَّدَ روحاً انه روح الله في تصويره
فتلقّاه الكون نجماً وروضاً وانتشى من شعاعه وعبيره
آنست بيت لحم طلعة عيسى في جلال ما حدّثوا عن نظيره
خلق الله رحمةً وجمالاً وجلالاً فصبّها في سفيره
وتسامى بصُنعه والنبوات نسيجٌ مميزٌ بحريره
وبراه ليمسح الشرّ بالخير فكان المسيح في تبشيره
ايها الراهب الذي نبذَ الدنيا وخلّ كثيرَها ليسيره
خرقةٌ عند العُري ثم رغيفٌ عند جوعٍ وهجعةٌ في حصيره
ووسادٌ من الرمال وظلٌ بذُرى عوسجِ الفلا في هجيره
فالفلا دارهُ الكبير وكل الناس أهلٌ في حُله ومسيره
وأميرٌ كنوزُه كلُّ قلب حمل الحب خالصاً لأميره

ذاك سلطانُه فأين السلاطينَ … جميعاً من جُنده ونشيره

كلُّ عرش ان لم يقم بقلوب … فهو طيف الخيال في تعبيره

والنبوات عرشها من قُلوبٍ … ليس يقوى شيءٌ على تغييره

يا رسول السلام إنّك تأبى … أن يساءَ السلام في تفسيره

إن خدّاً أردته يحملُ اللطم … تمادى بالظلم في تصعيره

صنف الكون في مقاييس تأباها … وآذى عظيمَه بحقيره

ورأى الناس دونه في جذور … فتنائى مسيره عن مسيره

إنه ابن السماء فيما يراه … وهم ابنُ التراب في تبريره

ولقد كنتَ واضحاً وهو خبٌّ … عاشَ يخفي الأحقاد في تكفيره

إنه اللؤم في محيا خدوع … لست تدري بشيره من نذيره

إن رهطاً يُنمى اليك بريءٌ … منك في فعله وفي تفكيره

يا نبيّ السلام والنور يا من … هو حبٌّ لخصمه ونصيره

أنت تُحيي الموتى بإذنٍ من الله … وعن أمره وعن تقديره

وتُشيع الوفاء والبر في الكون … وتوصي غنيه بفقيره

فغريبٌ من كادرٍ لك يُنمى … ان يميتَ الأحياء موت ضميره

كلُّ ميت من العداوات يحيا … وكريمٌ يموت من تدبيره

لوّث الأرض والسماء وحتى … البحر يشكو التلويث من تفجيره

أين أولاء منك حتى وإن شدَّ … بك الانتساب في تجذيره

أنت كالشمس يأخذ النور منها … الورد في الحقل والقذى في حفيره

وهي تبقى شمساً ويبقى القذى … نتناً وأين المنير مِن مستنيره ؟

يا رسول السلام أبناءُ حربٍ … قد تباروا للكون في تدميره

في شعارات كذّبتها النوايا … احكمَ النفط صوغها لأجيره

واستغلوا الأحقادَ والطائفيات … فماثت كالخمر في سكّيره

وأعيدت مصاحفٌ رفعَ (ابن العاص) … فيها الخداع يوم هريره

والعزيفُ المجنون يرقص للدم … ويشدو لمدفع في هديره

ووجوه الشباب في حمم الليزر … يشوي منها اللظى في زفيره

وألوفُ المعوّقين حطامٌ … قد تبارى البارود في تكسيره

والبواقي أراملٌ ويتامى … عاشت الدمع تحتسي من غزيره

وشؤون مريرة وسجونٌ وغَدٌ مظلم الرؤى في مصيره
وإلهُ الحروب فوق سريرٍ وكُسور الرجال حولَ سريره
يتباهون انهم اعبدُ السلطان لا يرغبون في تحريره
والغواني وراقصات الجواري جنب تسبيح البوق أو تكبيره
صادحاتٍ ينسجن ثوباً مُعاراً يُدرك العارفون كُنْهَ معيره
فإلى الموت إن أردتِ حياءاً أمتي لا خيار في تخييره
يا شذى روح الله هبّ علينا إن ابليس نافخٌ في كيره
وأعد للربيع فينا شذاه وابعث الجلنار في تزهيره
رُدّ عنّا مخططاً أجنبياً نجح الاستعمار في تمريره
فلئن كانت اليهود ارادتك دماً تسكر الهوى من خميره
فعلينا قد ألّب الحقد وحشاً يحسب الدم سائغاً من نميره

رسالة الى صغاري

لا تلمني إن الملام تجني وأعنّي إذا استطعت أعنّي
ما احترفت الجوى لأقلع عنه فأشر للجوى ليقلع عني
ما سوى الحزن في الوجود فلا تُكْثر لومي إن صرت مدمن حزنٍ
واذا ما صبرت دني فلا تلمح غير الأحزان خمراً بِدَنّ
إنّ لحناً يصوغُه الحزن لحنٌ عبقريٌ من دُونهِ كل لحنِ
اخلفتني تطلعات يقين كاذب الوعد فاستجرت بظني
وعشقت الأحلام أغرق فيها فهي إن خان واقعٌ لم تخني
وإذا أكدت الوسائل بالآمال افضت بطبعها للتمني
أرأيت العقيم إذ يحرم الطفل فيروي غليله بالتبني
ها أنا أنشدُ السمو بأحلامي لا سمو عنْ واقع متدني
نعمة الحلم عند صحوا الرزايا نعمة النَجم في ظلام الدُّجن
أنا لولا الأحلام ما كنت إلا مشرقاً في يد الأسى المرجحن
يا صغاري على البعاد سلامٌ من أب شاء حزنه أن يُغني

وكثيرٌ من الغناء نُواح
وإذا غنّت الجراح مشى الابداع
أنا بالليلِ آهةٌ تتحدى
فإذا أصبح الصباح افاق
قد ألحَّ الطعن الشديد على روحي
والذي يرفدُ الشجون طيوف
حملتكم مشاعري خفقاتٍ
والى أن أضم منكم وجوهاً
سيظل الحنين وردي وزادي
عمَّركِ الله يا طيوف بلادي
كم تمنيت أن أجليك مجداً
وجبال الشمال تشمخ زهواً
وهديرُ الفرات والدجلة البيضاء
والمواويل في مطارفك الخضراء
غير أني ويا لهول ما قاسيت
كل آنٍ أرى معز
وتطيح الأمجاد مجداً فمجداً
وصنوفٌ مروعةٌ من مآسٍ
والى أن يطوى الدجى وإلى
وتعجُّ الرحاب بالفارس الأسمر
سوف أبقى أعيش في لجّة

يتخفى بثوب شدوٍ مُرِنٍّ
لحناً في عود كل مغنٍّ
كلُّ ورقاء أنت اني كأنّي
الوقد بالقلب والشرود بذهني
ومالي وحقكم من مجنٍّ
أين يممت الوجه لم يدعني
باكياتٍ في نابضٍ مستجن
بينها حال البعد دهراً وبيني
وبريد الدموع منكم ومني
ما الذي تحمليه زاداً لسفنّي ؟
وأرجّي بك العلا وأُمَنّي
ونخيل الجنوب حلو التثني
امتاع كل عين وأذنِ
والعيش في غدٍ مطمئنٍّ
مما سمعته غيّراني
يرن الثكل في صوته ولا من مهني
وتعود الصروح مفروش عهن
لم ترد في تأريخ انسٍ وجنٍّ
أن يترك العزم مشيةَ المتأنّي
في صهوة الجواد الأرنّ
الأحلام من جور واقع متجنٍّ

سناء محيدلي

قالها بمناسبة مرور اسبوع على استشهاد (سناء محيدلي) في عملية بطولية في الجنوب اللبناني ضد العدو الاسرائيلي :

تطلّعَ يستجلي سنا الأرضِ كوكبُ ... فشـــدَّ بعينيـــهِ جبـينٌ مُعصبُ
تعرى به لبنــان سهلاً وشـاهقاً ... وشـاطِىءَ بحـر بـالحـلا يتـأشّبُ
ومرت به شمسُ الجنوب فأنضجت ... به الكَرْمِ فالصهباء في الصدغِ تلهبُ
وجســدَ أطيـافَ الفـداء كـريمــةً ... الى بدر واليرموك تُنمّى و تنسبُ
هو المجد يا دنيا (سناء) فغردي ... فأنتِ أريجُ الخلد بل أنت أطيبُ
دم وسرايـانـا ـ ذميـلٌ مسيرُهـا ... وعـــز أمــانينـا رجــاءٌ مخيّبُ
تألق فانزاحت عن الليل عتمةٌ ... وأمــطرَ فارتـدت سحائبُ خُلّبُ
وما مسحَ الأذلال عن وجه أمةٍ ... كمثل وريدٍ بالدم الحر يشخبُ
ولاختصر الدربَ الطويل كخطوة ... مشت في طريقِ المجد وهي توثّبُ
رأت غايةً للدرب فاندفعتْ لها ... وما رجعت والمدفع الوغد يصخبُ
مــلاحمُ آبائي سمعت هـديرهـا ... بصوت سناءٍ وهو للمجد تغضبُ

★ ★ ★

(سناء) رأيتُ الشمس رغم سناءها ... تمجدُ ثوبــاً منك بـالدمُ يخضبُ
ويخضلك التأريخ سفراً وصفحةً ... بما ينزف الجسمُ الممـزق تُكتبُ
وأطيـافُ ايمـانٍ ورمـزُ صـلابـــة ... سقى غرسَها في أرض (عامل) (جندب)
وأنت على الجوزاء كأسٌ كريمــةٌ ... تُهيب بـأبـطال الخنوع ليشرب
متــونٌ وان ثِقـلُ النيــاشـين ادَّهــا ... يشرِّفهــا في كعب رجليـك شبشب
وعـزمةُ صقـرٍ فيك تفـدي شموخَهـا ... خنـافس في مستنقع الـوحـل تـرسبُ
سيبقى وانْ شظّاه بارود مدفعٍ ... بثغرك صدَّاحُ مدى الدهر يخطب
أجل وسماتُ المجد صهوةُ سابحٍ ... شموسٍ بغير الدم هيهات تركبُ

★ ★ ★

(سناء) ودعوى التضحيات لسانُها   صدوق ودعوى الادّعـاء تُكَذِّبُ
وكلُ قِناعٍ يُحكم الزيف نسجَه   سيُحسرُ عن وجهٍ ويَبدو المنقب
وتبقى الشعـارات الكذوبةُ سُبَّةً   تنمُّ عن الجبنِ الذليل وتُعـرب
تكـذبهـا حـريـةٌ مستبـاحـةٌ   ويخجـلُ منها بـالهتافات يعـرب
ويلعنُ دعـوى الاتحـاد تجـزؤٌ   على كل شبرٍ منه دينٌ ومذهبُ
ورأسٌ حـواليـه رؤوسٌ تعفّنت   فلو شمَّها نتنٌ من النتن يهربُ
تُسطر أمجاداً كـذاباً لشيخهـا   وتعزو له كـلَّ الشموخ وتنسبُ
لعنتُك من داء تـأصـلَ جذرُه   بجسم وأعيـاه الـطبيبُ المطببُ

★ ★ ★

ألا أيُّهـا الليلُ الـطويلُ أمـا لنا   كمثل ليالي الناس صبحٌ فيُرقبُ
ألسنا كمثلِ الناس صبحاً وعتمةً   وفي أفقنـا شمسٌ تهلُّ وتغـرُبُ
فما بالُنا لا يعرفُ الصبـح أفقنَا   إذا مـا تولى غيهبٌ جدّ غيهبُ
تقضم منـا الأجنبي بنـابِـهِ   ومن أهلنا الحكام نـابٌ ومخلبُ
فنحن بـظفر الكـاسرين فريسـةٌ   يمـزقنـا هـذا وذلـك ينهبُ
ونحن بكف الفـاتحين منا هبٌ   كـرامتنـا تستـام والأرضُ تسلبُ
وقـادتُنا ليـلٌ وخمرٌ وسـامـرٌ   ينـظرُ ليـلَ المترفين وربـربُ
ومفترشُ النعمى وبالشعبِ فـاقةٌ   ومستروحٌ والشعب يشقى ويتعبُ
ونحن ضيـاعٌ وامتهـانٌ ومحنـةٌ   سنبقى بهـا حتى يثـور المعذبُ

★ ★ ★

عروسَ الجنوب الحر ألفُ تحيةٍ   لا فراش عُرسٍ بالشموخ مطيبُ
وأيُّ عروسٍ مثل يومِك يحتفى بها   الدهر من فرطِ الجلال ويُعجَبُ
ولكنني أُنبيـك أن عـرائسـاً   على دربك المزهو بالأمس طنّبوا
أصـاخوا لأنغـام الخلود وهـزَّهم   من الخلد قيثارٌ على البعد يُطربُ
فتاهوا بما أسدوه للمجد من يدٍ   وتـاهَ بهم أفقٌ أعـز وأرحبُ

★ ★ ★

الذبابة المسافرة

هذه قصيدة في ذبابةٍ ركبت على كتف الشاعر وهو في طريقه الى دخول الطائرة ، وكل ما دفعها عادت مرة اخرى حتى نزلت معه على أرض الكويت فأوْحت له بالأبيات التالية :

وذبابةٍ طارت معي من أرضها طوعاً ... ولم يعصف بهـا تهـديـر
صعدت معي طيارةً في رحلةٍ ... كتفـاي كـرسيٌ لهـا وسرير
لم تلقَ أيّ موانعٍ في دربها ... بـل حيث تشتاقُ المسير تسير
لم يطلبوا منها الجواز ولم يصلِ ... لِمـزاجهـا من أجله تعكـير
فتنقّلت عبر الحـدود طليقـةً ... في حيث لا منـع ولا تحجـير
فنجت فلا رعبُ المباحثَ سدَّ من ... فمهـا ولم يعبث بهـا شرّيـر
وتصرفت مختـارةً في فعلهـا ... إذ لا رقيب حـولَهـا وخفـير
عُـرفت بعلمانيّـةٍ لا مـذهبٌ ... من أجلهِ شجبٌ ولا تكفـير
لا تجتـوى أو تجتبى من أجله ... وينـال منهـا تـافـهٌ وحقـير
تُسبى هـويتُهـا ويُسلبُ قـوتُهـا ... ويـأدُّ منهـا النبـزُ والتحقـير
وصلت لمنـأىً لا الكلاب تشمُّـه ... أبـداً وليس يعضـه خنـزيـر
وتمتعت بهـويـة دوليـة ... فبكفِّهـا أنّى تشـاء مصـير
وقعت على أيّ الارائكِ تشتهي ... فلهـا فـراش مـا تشـاء وثـير
اني لأحسـدهـا عـلى حـريـة ... منهـا ابن آدم لو تتاح جدير
إن الحيـاة بـدونها عبءٌ وآلامٌ ... وطعمٌ مـا علِمت مـريـر

★ ★ ★

أذبـابتي أشكـو إليـكِ هـواننـا ... وضيـاعَنـا والبـاقيـات كثير
أتـريـن أنّـا مـن سُـلالـة آدم ... أم أنـنـا للسائمات نَـصـير
انحى علينـا القسر حتى أنّنـا ... همـلٌ يُقـاد كـما يقـاد بعـير
واجتـاحنـا قهـرٌ فـماتت نخـوةً ... وذوى شمـوخ واستكـان هـدير

وأماتنا الطغيان يصنعنا دمىً ... موتى يزوّق موتها التصوير
وتأنّق الاعلان يروي بؤسنا نعمى ... ويُبدع عنده التزوير
نحن الرواحل سِيمَ من أكتافنا ... ما استنكفت أن ترتضيه حمير
فهي التي عمِلت بأكلِ شعيرها ... ولكم نكدّ وما هناك شعير
بنت الفتوح دماؤنا وابتزّها ... مَن عِنْدَه التطبيل والتزمير
ممن ونحن على اللظى وغطاؤنا ... البارود وهو سُرادق وحرير
لكنها الأهواء شادت صَرْحَه ... وفمُ الهوى عفنُ الكلام أجير
وجنودُنا وعلى الحقولِ شواهدٌ ... من كدحها وعلى الربى تعمير
ذابت على المسحاة تفترعُ الثرى ... فترفُّ فيه غضارة وخضير
فجنى الثمار مرفهٌ وطغت على ... دنيا الكوادح كِسرةٌ وحصير
واستاقها للصادحين فغرّدوا ... وشدا لديه فرزدق وجرير
فإذا الخنا والسيئات مناقبٌ ... وإذا الخراب خورنق وسدير

★ ★ ★

اذبابتي يُهني طَنينَكِ انه ... حرٌ ويُخنقُ عِنْدَنا التعبير
ولديكِ متسِعُ المدى ولنا مدىً ... بالرغم من سعة المجال صغير
قد صَغّرته نفوسُنا وطباعُنا ... فتحكم الايراد والتصدير
أوليس يُضحك ان يطولَ بافقنا ... الذبّان والانسان فيه قصير
ويسفُّ فيهِ الى الحضيض بنو الورى ... وبه الذباب الى السماء تطير
اسمعت بالكذب الصراح ذبابتي ... ولكم لدينا كاذبٌ ومبير
رسموا الحدود واعلنوها وحدةً ... اكذا يكون اللف والتدوير
كتبوا على ابوابهم حريةً ... من بعضها التكبيل والتدمير
اما اشتراك الكل في الدخل الذي ... يجنى فأمر ماله تفسير
فالوابلُ الدفّاق رزقُ عصابةٍ ... اما الشعوب فرزقها التقطير
مدنٌ يغلفها البريق وتحتها ... عفنٌ رواها النتن والتقذير
يا مَنْ تجذر بالشعوب وباؤهم ... ان الدواءَ القطع والتجذير

لكم بوعي الشعب ايُّ جرائمٍ لا الحـد يغسلهـا ولا ، التعـزيـر
وعداك شعبي العذر بعضُ مواقف لا العـذرُ ينفعهـا ولا التعـذيـر
مـا امـة قـد غـيّرت احـوالهـا مـا لم يجيء من عندهـا التغيير
فيم الهـوان وانت لستَ بقاصر فيـما ارى لكنـه التقصـير

★ ★ ★

اذبـابتي اين انتهى بخيـالنـا مجدٌ الى دنيـا النجـوم سفير
والخـالـدان بـطولـةٌ وشهـامـةٌ والبـاذخـان الفتـح والتحـريـر
وخيولنا تزجي الغبار لهامة النجمات فـالنجم الشفيف قتـير
فنعـود نمسحـه بِعَـرف خيـولنـا حتى يعـودُ النجم وهـو منـير
وعـلى الثرى مما سنابكُ خيلنا وطئت جِـداءٌ شيقٌ وعبـير
تختـال بالشهـداء فوق سروجهـا لا هـاربٌ من فـوقهـا واسـير
لم تبق آفـاق الشموخ سفـاؤهـا يـرتدُّ عنـه الطرف وهـو حسير
وكبـا بـاشـواق الـطمـوح تـطلعٌ فـالطرف مُغمض والفؤاد كسير
ونتـاجُ أم ِ الصَّقـر سقطٌ رغم اوحـام شـداد والمخـاض عسـير

★ ★ ★

عبير من دم

«الى الشهيد حجر بن عدي الكندي»

تيممت يـومـاً (مـرج عـذراء جُلَّقٍ) لـدى تلعـاتٍ في سفـوح جبـال
نمـرتْ رؤىً في نـاظـريّ ولـوحت شـواخص في التـأريـخ عـبر خيـالي
وآنست نـوراً في قبـور تعـانقت عـلى بيض ِ احسـابٍ وغُـرٍّ فعـال
وحين مسحتُ التُرب لاحَ على الثرى شمـوخٌ ومغنىً عـزةٍ وجـلال
وهَبَّ عبـيرٌ من دم سـال اذ أبى بـأن يتنحى عن هـدىً لضـلال
وغـرد في سمعي لحجـر ورهـطهِ هـديرٌ بـورد المـوت غـيرُ مُبـالي
غـداةَ الخَيـارُ الصعب مـوتٌ مـآلُـهُ خلودٌ وعيشٌ ينتهي لـزوال

مسالكُ اما للحضيض او الذُّرى وللرجل ان تختارَ ايَّ مجال

فكان اختيارٌ اثبتَ المجد انه الأسَدُ ، وان شطَّت ظباً وعوالي

فيا حجر مرحى للجبين الذي ابى السجود لغير الواحد المتعال

★ ★ ★

ويا نبتةً رغم الهجير تعرّست وزمَّت بمخضرّ البراعم عالِ

ويا جِلسَ محراب وخشعةَ راهب ونجوى تقيٍ في ظلام ليالي

سقى الله قبراً ضمَّ منك ورهطِك الميامين اسمى عُصبةٍ ورجال

وخلدَ منكم للشموخ مصارعاً ستبقى بدرب المجد خيرَ مثال

اجلْ وبعين الله ما ذاقَ أهلُنا وما كابدوا في حب اكرم آل

فيا رب فيضٌ من نعيمك للذي أبَوْ ان يذوقوا الماء غيرَ زلال

ويا رب بوأهم كريم منازل بظلك يا من مدّ خير ظلال

وليت الذي قد خال ان قد بليتُم يرى من هو الباقي ومن هو بالي

فهذا طريقُ الخالدين ومن يَرُمْ خلوداً سواه رامَ الفَ محال

فضمّي رُبى (جيرون) من اوْلَيَاتنا وجوهاً كريمات السمات غوالي

صحائف من خلف التُّراب تألقت هدىً لا يغطى في حصىً ورمال

رسائل خطتها انامِلُ (حيدر) الى سادرٍ من بغيه بخيال

لِتُنْبِيه ان المتقبين مآلهم خلودٌ وللباغين شرُّ مآل

★ ★ ★

عذرا في ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ .

عاشق الظلام

خواطر سجلها في ليلة من الليالي الحالكة

عشقتُ الدجى لا كافراً بضيائي ولا لاعدَّ النجم من ندمائي

ولا أنشدُ الالهام فيه فلم تعد مجال الخيال الخِصب ذات عطاء

ومالي دنٌّ في الدنان أعبُّه ولا قمرٌ اشكو له بُرَحائي

وما كنت شادي الليل دونَ صباحه وبالصبح رأدٌ واجتلاء بهاء
ولكن عشقت الليل يُؤنس وحشتي ويستر احزاني عن الرقباء
واقرأ احبابي السلام فان نأوا عليه جعلت النجم من سفرائي
وأرسل احزاناً وِضاءاً طليقةً تحررن من قيدٍ وضغط وعاءِ
تعودن يشربن الاباء بشاهقٍ وما اعتدن غير النجم من قرناء

★ ★ ★

أقافلتي قد أوحشَ الدرب والتوى ولم يبقَ عندي فيهِ من رفقاءِ
وغامت به حتى شموعٌ ضئيلةٌ تعودن منح الليل بعض سناء
وعهدي به درب الكرام اذا به ويا لشجوني مسلكُ السفهاء
من الحاسبين المجد ان يأكلوا على موائد سحت في حمى الامراء
وان يتقنوا رقص القرود ويُحسنوا نشيد الثنا في جوقة الأُجراء
اذا عادَ فنّ الزيف فناً وحنكةً فماذا يكون الصدق غير هراء

★ ★ ★

اعاذلتي هل في الحياة بقيةٌ تُمدُّ اليها العين دونَ قذاء
وهل من طموح الكبرياء بأنها تزاحم تجار الخنوع بماء
أكأسٌ بماء مثلُ كأس بصرخد وبغلٌ ومهر سابحٍ بسواء
امثلَ الذباب النِّسر ان كليهما يطير قياسٌ مفرطٌ بغباء
اذا زحم الغربان صقراً بورده فليس امام الصقر غير ظماء

★ ★ ★

أطلَّ على الدنيا يكدّر صفوها مزاج يمنّي كأسَه بدماءِ
يعذبه ان يضحك الناس مرةً ويطربه ان اغرقوا ببكاء
وليس ينام الليل والناس عندهم رغيفٌ وبقيا عزةٍ وإباء
حلالٌ له كل الحرام لغيره ومن لم يُطعه فهو من عملاءِ
يرى انه الفذ العظيم وانه لرعي نعاجٍ لا يليق وشاءِ
وكيف يسوس الناس أرعنُ تافةٌ وكيف يُداوى الجهل بالجهلاء
قُصاراه ان يشدو بأصلٍ وفعلُه هجين يُعري أصلهُ لهجاء
فما المرء إلاّ ابن الفعال كريمةً وما الاهل دونَ الفعل غيرُ هباء

★ ★ ★

ومنعطف اشرفت منه على رؤى ... تكاذب وجهاها بدون حياء
تريك حضارات بلفظ وفعلها ... ستعليه قدراً ان تقول بدائي
وكارثة ان يصبح الذئب سيداً ... وأن يتمشى العهر في خيلاء
أفي زمن العلم الحديث وفترة ... تطول السما فيها يدُ العلماء
تقوم بنا يا للتعاسة حالةٌ ... مكاسبُها غزو وسبي نساءِ
احلّت لرهط عابثين دماءنا ... وصبّت دنان الخمر للزملاء
فيا لايادي النور ينصب عندنا ... بدون جزاءٍ بل لمحضِ حَباء
ألم يسمحوا للنور نمشي بضوئه ... ونشبع من ماء وشمّ هواء
اما تركوا الاثواب فوق متوننا ... وارجلنا جادوا بها لحذاءِ
اما الامبراليون راموا امتلاكنا ... وهم انقذوا الاسرى من الدخلاء
اجل حوّلوا الوهم الكذوب حقيقةً ... فصرنا لهم في اعبدٍ وإماءِ
لكَ الحمد يا من ليس يحمد غيره على كل مكروه وكل بلاءِ

★ ★ ★

رجعت الى حزني ألوذ بجمره ... واقنع دائي ان فيه شفائي
ومن عرف الاحزان يعلم انها ... هي المن والسلوى لدى نظرائي
فلولا الشجى ما اطرب الأيك صادحٌ ... ولا غردت صنّاجة الشعراء
ولا كانت (الخنساء) لحناً مخلّداً ... ولا فجرت في (صخر) نبعَ إخاء
وبعض الظما قد يُنشد الوِرد بالظما ... وربُ دواء ترتجيه بداء
حنانيك شعبي ما عهدتُك خانعاً ... وانت ابن عزف السيف وابن جلاء
ولكن وقد تعمي الشعوب طوارقٌ ... تخدر روحَ الشعب دون فناء
وقد تستنيم الكبرياء لفترةٍ ... وقد يستجم المهر بعدَ عناء
ولكنها تبقى الشعوب وان قست ... قيودٌ ولجّ الجبن بالجبناء
ستنقذ اسراها وتنقذ ثارها ... وتنفض عنها الذُل دونَ مِراء

كواذب الاحلام

اغرقي يا رؤوس بالاوهام ... وعدي في كواذب الاحلامِ
واخدعي فالحياة محضُ خداعٍ ... وهراءٌ مفوف الاكمامِ
اوعزي للطبول ان تكثر القرعَ ... وغذّي الجياعِ بالانغام

واستهيني بـــالنـــاس فـــالنـــاسُ إلاّ قلّةً لا يســـوونَ أيَّ اهتـــمام
حفنـــة من ثعـــالبٍ وابنِ آوى وســـوادٍ مكثّف من ســـوام
يتـــلاقـــون في الـــطبـــاع على الـرغم من الاختـــلاف في الهنـــدام
مـــا اخـــو الصـــدق فيهم غـــير صفـــرٍ بيســـار مـــا عـــدَّ في الارقـــام
هبـــطوا فـــالسمـــو فيهم نشـــازٌ واصيبت اذواقهم بـــالسقـــام
فـــاذا بـــالـــوجـــود يـــطرب للظفـــر وللنـــاب لا لسجـــع الحـــمام

★ ★ ★

كـــان في هـــذي الأرض بعض ربـــوع وادعـــاتٍ في نعمـــةٍ وجمـــام
قـــادَ من ركبهـــا تـــراثٌ كـــريم من جـــدود في الســـالفـــين الكـــرام
غـــير ان العـــدوى تمشت اليهـــا فسرت في نخـــاعهـــا والعـــظام
فتـــأسّت وللمقلّدِ حـــربٌ فـــوق حـــرب الاصيـــل في الاحتـــدام
فـــاذا الخـــير قـــد تحـــول شـــرّاً واذا الختـــل قمـــةُ الإلهـــام
واذا خـــدعـــةُ الشعـــارات فنّ يُتَبَنّى عنـــد الـــذرى والآكـــام

★ ★ ★

قيـــل حـــريـــةٌ وفي كـــل شـــبرٍ الفُ كلبٍ بـــانفـــه شـــمّام
يتقصّى خـــطاي فهـــو ورائي وهـــو في كـــل خـــطوةٍ قُـــدّامي
واحتكـــام الجلواز وهـــو يقـــودُ الفَم والفكـــر والنهى بـــزمـــام
فـــاذا قلتُ في الســـماء غيـــومٌ هي فيـــما علمت محضُ جُهـــام
قيـــل لي قـــد شتمت غيم الســـماوات وبئس الاخـــلاق شتم الغـــمام
واذا مـــا التفت قـــالـــوا قـــد تـــرصـــدت مـــرور الـــزعيم لـــلإجـــرام
واذا مـــا نفضت كفي قـــالـــوا تنسف المنشـــآت بـــالألغـــام
هكـــذا كبّلوا الجـــوارحَ طُـــراً عن ضروب الارســـال والاستـــلام
وهُمُ يهـــدمـــون في كـــل يـــومٍ مـــا بنى المجـــد من صروحٍ عِـــظام
ثم يـــرمـــون غـــيرهم أنـــه يمتـــار من كـــل مبـــدأٍ هـــدّام

★ ★ ★

(اشـــتراكيـــةٌ) ولكن بجـــوع وسجـــودٍ لحضـــرةِ الاصنـــام
عنـــدهـــا الفقـــر للجـــماهـــير والانعـــام ملك الانصـــاب والازلام
تـــرسم العهـــر شـــرعَ كـــل فتـــاةٍ والضـــلالات دينَ كـــلِّ غـــلام

قـذرٌ في تقـدميـات اسمـوهـا فصيغت في بهـرجٍ من كـلام
عـوّضـوا النقص في دَوِيٍّ كـما عـوّضه ابن التسعـين في الاغتـلام
واصرّوا بـانهم هبـة الـدنيـا لاجـل المسـير نحـو الامـام
ضيعـوا ارضنـا وبـاعـوا امـانينـا وحـطّوا انـوفنـا بـالـرَّغـام
واراقـوا الـدمـاء في نـزوات ليس في غـايـة ولا في المـرام
يـا لهـدر الجهـود والصلف المغـرور حتى في قمـة الانهزام
والخـداع الاشـد في دعـوة الـوحـدة في طـول بعـدنـا المـترامي
فعـلى كـلِّ رُقعـة مثـل جُحر الضبّ رمـزٌ لـدولـة ونـظام
وحـدودٌ هيهـات يعـبرُ منهـا غـيرُ من حـاز الفَ شرط تمـام
هي للعـرب والاعـاريب حِجـرٌ وهي مـأوى للزط والاعجـام
فـاذا مـا السـما رعتـك وقضيت بهـا حقبـةً من الاعـوام
ومنحت الجنسيـة المتـوخـاة ولفّتـك بـدلـة الاحـترام
سـتراهم قـد صنفـوك لِحـامٍ بـين الآخـرون أبنـاء سـام
ثم راحـوا يقـررونَـك صُبحـاً ومِسـاءاً بـالفضـل والانعـام
اولست ابن النفط فـاشمـخْ ولـو تـرجِـع بـالاصلِ للبعـير التُّهـامي
اولا تستحي الشعـارات بـالمـدخـل من حجم زورهـا المتنـامي

★ ★ ★

هكـذا يـا عجـائب الايـام نحن اسرى الخُـداع والابهـام
ليس بـين الاقـوال فيـما روتـه واتجـاه الافعـال ايّ انسجـام
انكـرتنـا نفـوسُنـا لمـدى الاسفـاف فينـا بـالنقص والابـرام
نحن حقـاً اولئـك القمم الشـمّاء فيـما مضى من الأيّـام
يـومَ زمَّت فينـا سمـواً وفكـراً وشمـوخـاً شريعـة الاسـلام
فصنعنـا نقصَ الحيـاةِ كمـالاً وبنينـا بفكـرنـا والحسـام
وتـركنـا عـلى منـاكب هـذي الارض رمـزاً لكـل مـا هـو سـامي
ورفعنـا منـارةً اسرجتهـا بيض افكـارنـا لـطرد الـظلام
كيف ذاب السمـو فينـا فـذُبنـا فـاذا نحنُ مـوطئُ الاقـدام
كيف تـاهت طـلائـعُ الهـدي وهي الرشدُ والنور في غِمار الـزحام
وانتهت تـأكـل الفُتـات عـلى مـائـدة الكفـر وهي حقـلُ الـطعام

اقسمت ان تــبرًّ كــلّ دخيــلٍ وتبنت قـــطيعـــةَ الأرْحـــام
فـــاذا رهـــطنـــا عـــدوٌ لـــدود واذا (التيمس) النصـــير المحـــامي
واذا نحن دون طعم ولـــــون ليس نـــدري عن بـــدءنـــا والختـــام
راح حتى شكـــل العـــروبـــة والاســـلام واستبـــدلا بشكـــل هـــلامي

مصرع كباية أو كلاس

في كأس من الشاي كسر وكان يشرب فيه الشاي نحو ١٠ سنوات فقال :

أســـــاقيتي لا المنى تكمـــــل ولا المـــرء يـــدرك مـــا يـــأمـــل
ولا الليـــل دام ولا الصبـــح دام وطبـــع الـــدنى قلّب حُـــوّل
فيـــومـــاً شرورٌ ويـــومـــاً همـــوم وبينهـــــما زمن مهمـــل
وفحـــوى الـــزمـــان عـــطاءٌ ومنـــع ومن ذهبـــــوا ثم مَن اقبلوا
وقـــد يستـــوي في النهـــايـــات مَن تمشّـــوا وئيـــداً ومَن هـــرولـــوا
ولا بـــد من غـــايـــة للمســـير اجـــل ينتهي مـــالـــه أوّل
وتمضي الانـــاشيـــد والحـــادثـــات ويمضي المفصّـــل والمجمـــل
وليس يـــظلّ ســـوى الـــذكـــريـــات بعمق مـــداركنـــا تعمـــل

★ ★ ★

أســـاقيتي كم شربنـــا معـــاً ولـــذّ بـــاســـماعنـــا محفـــل
فـــما مـــلّ ثغـــرك ثغـــري ولا ســـأمنـــا ولا ادبـــرَ المقبـــل
يُســـاجـــل فيـــك الغبـــوق الصبـــوح فـــأســـأل ايّهـــما افضـــل
بـــأحمـــر ينعشني لـــونُـــه فلون اليـــواقيت أو أجمـــل
اشـــدُّك للثغـــر فعـــلَ الـــرضيـــع بشـــدي اذا شُـــدّت الأغـــلُ
واقـــرأ وجهي عليـــكَ ومـــا اذا كـــان يكـــبرُ أو يـــذبـــلُ
واعـــرف فيـــك الصـــديق الـــوفي فعثرٌ تصرمن أو أطـــول
وصحبـــةُ عشر بهـــذا الـــزمـــان مكـــاسب في نـــدرةٍ تحصـــل
الى ان رأيتُـــك فـــوقَ الـــثرى وقـــد هُشّم الـــرأس والمفصـــل

فعادت بتحطيمك الذكريات   حطاماً واحزنني المؤئل

وربَّتَ كأسٍ اذا حطمت   تعوض في غيرها المنهل

وكم عاش كأسٌ وراحت شفاه تفاريق منها البلا يأكل

وقد تستحيل شفاهٌ لنا   كؤوساً بثغر لها ينهل

وكلُ تراب له قصة   وامس ويومٌ ومستقبل

ولو نطقت طبقات الثرى   لأسمعت الاذن ما يذهل

★ ★ ★

أساقيتي وعذرتُ الدموع   غداة تملتك اذ تهمل

فما امتهنت كبرياء الدموع لغير اخٍ او هوىٍ يُثكل

وللمرء احبابُه جامد تعلق أم ناطق يَعْقِل

ويستويان بعرف الوفاء   فكلٌ له بالهوى منزل

ويُؤذي الوفا عندَ فقدِ العزيز   عواطفُ في فيضها تبخل

وهل خلق القلب الا لكي   يذوب على الإلف أو يُشعل

وإلّا فما الفرق ان لم يَذُب   أقلب بصدرك ام جندل

★ ★ ★

أساقيتي لكِ اشكو الزمان   فمن جهله عجبَ الجُهَّلُ

يذود القريب ويدني القريب   ويسمو ويعلو به الاسفل

ويصنع في جيفةٍ هيئةً   لها التُرب لو دفنت امثلُ

وقد يُسأل البغل سبق الجواد   وتأبى الفوارق ما يسأل

ويدعو البغاث لصيدِ الصقور   فيسخرُ من قوله الاجدل

يُكلف فيه الجواد النهيق   وصوتُ الحمار به يصهل

ويطمع ان تلدَ العاقرات   وهيهات فالعُقم لا ينسل

ويبقى يسفّ ويبقى يسفّ   الى دركٍ ما به انزل

وفي كل هذا تعود الحياة عبثاً ومضمونها يهزل

فلست ألومك أمّا رحلت   فقد يستريح الذي يرحل

★ ★ ★

اساقيتي ولع البين بي   ولا عاد يدرك ما يفعل

فافردني من رفاق هم   مجنّي وسيفي والجحفل

فراح مجني وسيفي بهم ... وها انذا بعدهم اعزل
ولو انهم لو مضوا قوضوا ... من الارضِ والنفس ما اصّلوا
لهانَ ولكنَّ اطيافَهم ... تلح عليَّ ولا تغفل
وفي النوم ما عافني طيفهم ... وفي اليقظة الجرح لا يدمل
وقد تَنسَخ العذب عذبٌ ألذ ... ويُلهيك عن حافلٍ احفل
وقد ملئوا كلَّ بُعد لديك ... فلا فارغٌ بعدهم يُشغل
فديتك آنيةً ما خلت ... وعاش لها رحم مثقل
وعاملةً في المسا والصباح ... فما كسلت مثل من يكسل
بعاطلةٍ هزلٌ فكرها ... ويُسمنها عَطَلٌ مخجلُ
تعيش على رنَّة الادعاء ... وطبلٍ يمجّد من طبلوا
ويحتقر الكدح والكادحين ... واشرف من مجده المغزل
فما صنع الادعاء الحياة ... بل الفاس والسيف والمنجل
وليسَ سَواءاً يدٌ رخوةٌ ... واخرى بمسحاتها تمجل

★ ★ ★

أساقيتي ان دمع الوفا ... شَمولٌ يعبّ وقد يثمل
وخير الرسائل ما بينَ من ... تريّث دهراً ومَن عجّلوا
ورمزٌ يدلل ان النفوس ... على طيب فطرتها تُجبل
وقربى هوىً وقريب الهوى ... وان بانَ في جنسه اوصل
وهل أسكر الروح مثل الجراح ... واوحى لها وهي تستنزل
وبعض الدموع يغني الجراح ... وبعضُ الدموع لها يُعول
ومعذرة يا وعاء الشذى ... اذا الدمع للرزء لا يعجل
فما يعجل الدمع فقدَ العزيز ... ولا دفعَ الرزء من حوقلوا

★ ★ ★

وفي الترب حيث تذوب الشفاه ... وتذوي القلوب بما تحملُ
رغائب ماتت ودنيا طموح ... غفت بالثرى ومُنىً حُفَّلُ
واحلام امٍ ونجوى حبيب ... وشدو وروض هوى اشهل
وغصنُ صِبا جفَّ في يَنْعه ... ويا للصبا الغض اذ يذبل
وخُودٌ لَعوبٌ طواها التراب ... وثوب الزفاف بها يرفل

وحيث الخدود وحيث الشعور ثبوت نبت الكرم والسنبل
عوالم حافلة بالعظات لو الترب عمّا بها ينقل
ايا مَن يرى العيش نبعاً يسيل وخصباً يرفُ ولا يمحل
خُدعت فكم صوحت روضةٌ وكم جفّ عن جريه الجدول
فمن سمة العيش حلو ومُر وحال يُقيد أو يُرسل
فان غلب المر طعم الحياة فتلك هي السمجُ الحنظل
وللموت اكرمُ من بعض ما يمر على المرء او ينزل

١٩٨٦/٦/٢٦

دمعة

في رثاء جعفر الخليلي

طواك الردى سفراً فعِش في كتابه كبيرَ المعاني رائعاً كل ما به
فلم اخشى ان يغتالك الموت فكرةً فما مات معنى الفكر رغمَ احتجابه
ومثلك من ان امَّهُ الموت ردّه خضيلاً ومدّ الخِصب فوق يَبابه
ولكنه فقدُ العزيزِ فُجاءةً ولا امل في عَودهِ وايابهِ
ومثل الحياة الموت سفحاً وقمةً ونزراً وضخماً في رصيدِ حسابه
ومن محن الدنيا بقاؤك بعد مَنْ اذا ذهبوا ابقوك دونَ مشابِه
فوجهٌ اذا ما غاب تبكيه ساعةً ووجهٌ تَمَلُّ العمرَ عند غيابِه
وتدفنُ فيه بالثرى ان دفنته وجودك ان المرء بعض صحابه

★ ★ ★

احبتنا لا الروضُ يُزهرُ بعدكم ولا الغيث يجلو الروضَ عند انسكابه
ولا نوب الايام في غفلاتها ولا العيش في ريعانه وشبابه
ولا القمر المجلو يجمع شملنا على سمر غفٍ بكل نصابه
فدهرٌ ترضبناه شهداً وبهجةً امرَّ فذقنا علقماً من رضابه
ونادٍ به كنتم اذا اكتظَّ سامرٌ نشيدَ الهوى في عُوده ورَبابه
غفا وغفا الشادي بهِ فهو موحشٌ واصبح قفراً ناعباً بغرابه

فذوبت روحي بالدموع وبالجوى ... فما الدمعُ فوق الخد غير مذابه
اجل كل حلو راح بعد رحيلكم ... وظل الصدى في حزنه واكتئابه

★ ★ ★

(أبا هاتف) والامسُ في ذكرياتنا ... معالمُ كونٍ ما اختفى في ضَبابه
منيعٍ يجوسُ البارعونَ خلالَه ... وتبقى حُشودُ الحاملين ببابِهِ
زحمتَ به بالشوطِ حَشْدَ فوارسٍ ... فآنسَ فيكَ الشوط بعضَ عِرابه
وآثرتَ فيه ان تنامَ على الطَّوى ... جِذارَ خِوان حاشدٍ بذبابه
على حين ضجَّ السُحت في بطن بعضهم ... ولاحت خيوطُ الرَّيب بين ثيابه
وخِبٌّ تردّى في ثياب ابن آدم ... ولكن يصيح الذئب تحتَ إهابه
فكنتَ الذي عاش الحياة بفضله ... وكانَ الذي عاش الحياة بنابه

★ ★ ★

(أبا هاتِف) والدرب لم ينسَ رائداً ... تقحمه بالامس رَغم صعابِهِ
وراعفةُ الاقلام إلاّ نواشزاً ... تنظِّر للسلطان كل رغابه
فكم قد تواري في (قرى الجن) عندما ... ابى الانس ما اسموه فحش سبابه
اخو كِسرٍ في مِزودٍ كبرياؤه ... تعدُّ الطعامَ السُحت دونَ اكتسابه
ترقّب عيشاً في قناةٍ كريمةٍ ... وان فاتَ منه عمرُهُ في ارتقابه
ومن احرز الخبزَ الشريف وِطابُه ... فكل لذاذات الدنى بوطابه
وكم قهرَ الظلماء وهي كثيفةٌ ... بِوقدٍ وان اودى به في التهابه
تأبى بأن تطوي له الدرب شبهةٌ ... ولم يطوهِ في سرجه وركابه

★ ★ ★

(أبا هاتف) والموت وِردٌ محتمٌ ... ستكرع حتماً كل نفس بصابه
وقد يستوي عمرٌ بألفٍ وساعةٍ ... اذا كان كل ينتهي بذهابه
ولكن رأيت الموت اقسى مرارةً ... اذا اخترم الانسان عند اغترابه
وأن لا يموت السيف في حومة الوغى ... ولكن يموت السيف وسطَ قِرابه
وألم وقعاً ان يذودكَ موطنٌ ... تعشقتَه في قِشرة ولُبابه
تحضنته طفلاً وذبت به فتىً ... وعانقته في خطئه وصوابه
تغنيت في انهاره ونخيله ... وسبّحت في محرابه وقبابه
فأنت ابنُه في وقْده وجحيمه ... وانت ابنه في عذبه وعذابه

وانت نشيجٌ للغريّ ملامحٌ … بمحكم اصلٍ فيه لا متشابه
وتمنع عنكَ الموطنَ الام عصبةٌ … مكاسبها في نهبه واغتصابه
يذودك بغياً ان توارى بتربه … مزاج يسيل الحقد بين لعابه
وقد يدّعي في ذاك صونَ عروبةٍ … وما ذاق غير العرب سوط عقابه
ولم يختفي حتى على البله قصده … فقد شبعوا من زوره وكذابه
اذا ذادَ عن جذرِ العروبة (مالكاً) … واعطى (صلاحَ الدين) حقّ انتسابه
وما ذاك إلّا جيفة طائفية … وما غير هذا زادُه في جرابه

★ ★ ★

(أبا هاتفٍ) يهنيك انّك راحلٌ … الى ربّك المضمون حسن ثوابه
وصَحْبٍ ستلقى فيهُم كل واضح … تيمم وجه الله كل احتسابه
وتقرب من شادٍ يناغمُ روْضهُ … وتبعد عن وحشٍ يهرُّ بغابه
وسوف تسامى ان تخاصَم ظالماً … فمثلُك مَن خلَّ الظلومَ لعابه
ومن راح عند الله عاش حقيقةً … ستنسيه كوناً غارقاً بسرابه
ولله بحرٌ من نعيمٍ ورحمةٍ … ستسبحُ في تياره وعُبابه

★ ★ ★

اعفَر الثرى يا الفَ بُرجٍ مكوكب … يلفُّ الوجوهِ الزهر فضلُ نقابه
وجوهٌ رأى فيها الجمال انيقَهُ … واخرى الجلال اختصّها لُمهابه
تغولَ مرآها الثرى غيرَ آسفٍ … وعاثَ بمعناها الردى غيرَ آبه
ونُجلُ عُيونٍ في محاسن بضّةٍ … قسا الدود في تمزيقها بحرابه
وتلك الشفاه اللعس صيّرها البلى … تراباً على سهل الحمى وهضابه
تحدّث عنها القبر بعدَ سكوتها … حديثاً طويلَ الوصف رغم اقتضابه
طوى القبر احبابي فعانقتُ قبرهم … اهيمُ لدى احجارهِ وخرابه
فدارُهم من بعد قبرٌ وقبرُهم … هو الخلد في جناته وكعابه
حَسدتُ بهم اجداثَهم اذ تحضّنت … معاقد مجدٍ من رعيلٍ نوابه
تهادت بهم بالترب بيضُ شمائلٍ … كما يتهادى جدولٌ في انسيابه
إيا رملة الوادي على مطلع الحمى … سلام على رمل الحمى وشعابه
على منزل حَطَّ الاحبة رحلهم … وحطّوا هناك الخدَّ فوق تُرابه
وعهدي بأن القبر صمتٌ ووحشة … فلا منشدٌ أو سامعٌ لخطابه

ورمــلُ (علي) (بالغري) طلاقةً — وبِشرٌ واخّ ضاحكٌ برحابه
كأن علياً صبّ من بسماته — عليه وشذّى رمله بترابه
فهاموا بافقٍ من ملامح (حيدر) — يسيل على الوادي بسحر خضابه
وعند (علي) للنزيل حمايةٌ — ورفدٌ وحوض مترع بشرابه
اصابوا هناك النور في روعةِ السّنا — وسمّوا هناك المسك وسط عبابه
فديتُ حمىً فيه شددتُ مشاعري — واهلي ثووا في ممرعٍ من جنابه
وغشّاه مطلول الخزامى بطيبه — ورواه نوءٌ مرزم بسحابه

★ ★ ★

(أبا هاتفٍ) ان ابعدوك عن الحمى — فربَّ بعيد مغرقٌ في اقترابه

(عبد المحمد)

بمناسبة ذكرى الملا عبد المحمد الرادود

لك مهما طال الزمان وأبعدْ — صورة في خيالنا لا تتبددْ
قسمات فيها شحوب وحزن — وجبينٌ من الصلاةِ مُسَجَّدْ
وجفون تقرحت وليالِ المتقين — الابرار جَفنٌ مُسَهَّدْ
وزفير في آهةٍ ودموع — في رثاء ابن فاطمٍ ليسَ تنفذ
كل هذا (عبدَ المحمد) ذخرٌ — انتَ فيه على المدى تتجدد
وسيُحييك كلما هلَّ عاشور صدىً من نواحِ آل محمدْ
وهدير الصوت الاجش ونبرٌ — كم لآل النبي ناح وغرّد
ويقيني بأن دارك في الاخرى — بظل الحسين في خير مقعدْ
فاذا ما لقيت يوماً حسيناً — في مقامٍ سامٍ وصرح ممرد
وتأملت في جبين أبيّ — هبط الكون كله وهو يصعد
قل له هذه مشاعر عبدٍ خادم كم روى رثاك وردّدْ
هو بالغد ناشد مجدك الغمر — كلما بالحياة منك تمجّد
فتعاهده يوم غربته الكبرى — اذا ما دُعي الى الله مفرد
وتقبل هذي المشاعر والاكبار — من خادم المنابر (أحمد)

أيها الأسعد

طلب يوماً التحدث مع الدكتور اسعد علي فقيل له انه في خلوة مع الله ! فأنشأ قائلاً :

أيّهـا الأسعـد الـذي من رجـائي انـه في الـدارين سعـدٌ وطيبُ
قيـل لي انكم قـد خلوتم مـع الله فقلتُ انَّ ذاك عجيبُ
لم يـكُ الـله في خصـوص مكـان انّمـا الكـون فـيضُـه الموهـوبُ
هـو في الكـون رقّـةٌ والعيـون الـزرق سحـرٌ وفي الضمـير رقـيبُ
وسِـع الكـون وجهـه فـالشروق الحلو لمحٌ من وجهـه والـغروب
فـاذا الافـقُ روضـةٌ والسـما زهـرُ نـجـومٍ والارض غـصـن رطـيـب
فـتـحـراه عـنـدَ كـلِ مـكـانٍ فـهـو بـادٍ في كـلّهـا محـجـوب
قـد رأتـه الارواح والعـين كـلّت ان تـراه فهـو البعيـد القـريب
كـل شيءٍ مـن فـيضـه ونـداه والى الـله في المصـير يـؤوب
انّ ربي كـما يـقـول حـديـثٌ لم يسعـه في الـذات الاّ القلوب

في رحاب الرسول الكريم

نمنم الصفـح والـرضـا في عقـود ثم قلد إذا مننت قصيـدي
يـا هدى الـروح والمنى يارسـول الله يـا كعبـة الهـوى المعمـود
أنت عنـدي لكن دارك شـطـت فتـوجهت للقـريب البعيـد
حـامـلاً في يـدي من ولـه الأرواح شعـراً ومن مـذاب الكبـود
آمـلاً مـا منحت كعبـا وحسّـان وهـا منكبي فهـات بـرودي

****

طيبـة يـا شـذى البسـاتـين طيبـاً يـا هـديـل المـرجّـع الأغـرود
يـا رؤى جبريـل والنور والأنغـام في نـبرة الكتـاب المجيـد
يـا عبير الفتـوح يا وهـج الأمجـاد من عـزمـة الكـماة الصيـد
يـا ليـالي القـدر الكـريمـة قـدراً وخشـوع التسبيـح للمعبـود
يـا عـطاء القـرآن يصنـع دنيـا الحب في أمـة من الجلمـود

يا أساريـــر من محيا أبي الزهراء ... عاشت على الزمان المديد
شد عيني على رحابك أفق ... رمقته السماء بعين حسود
تتهادى الغيمات في بعده الأزرق ... مثل الرئيس بين الجنود
حسبها أنها تلطف بالأفياء ... من قسوة الهجير الشديد
والنخيلات فارعات شموخاً ... في تثن كالسمهري الميد
يشبه الزهو في بنودك في بدر ... وأحد فيالزهو البنود
وقست نسمة فسفّ عجاج ... عاد بي بالخيال عبر العهود
فأراني وهج السنابك من خيلك ... تغزو بفكرة لا عديد
ضابحات يعلكن باللجم والبيض ... وميض وجذوة في الغمود
في رعيل من صحبك الغر لو شاء ... لنال السماء - في تصعيد
بنشيد الله أكبر في أفواههم ... يا لقدس ذاك النشيد

****

ونظرت الثرى فلاحت لعيني ... صور الكدح والعنا المجهود
ومساحي الأنصار في الحقل والناضح ... والصوت من صرير الكرود
وأكف تبني الحياة وقوم ... يتبارون للجهاد - الجهيد
المطاعيم حيث ما لنزيل ... يطلب الرفد من قرىً وورود
ينتمي البشر للشمائل منهم ... كانتماء الرحيق للعنقود
حلفاء النبي أنصار دين الله ... أهل الايثار رمز الصمود
قد تنادوا لربهم وهو ناداهم ... فيا للرعيل نادى ونودى
صور ردت الحياة نعيماً ... وأتت مرة فهل من معيد

****

يا رمال البيداء هل نسى الرمل ... أم استذكرت رمال البيد
يوم يمشي (محمد) فيتيه الرمل ... من خطوه الوقور الوئيد
والصحارى روح ألح عليه الجذب ... فأشتاق للغد الموعود
للخضيل السخي يغدق بالخصب ... على قاحل الربى والنجود
للكمالات للشهامة للحرية الحق ... للطريق السديد
لخلاص الانسان من محنة الفقر ... ومن أفق سادة وعبيد
فانتخت عند يثرب وثبات ... تعد الدهر بالغد المنشود

وعـــدتـــه أن ينثني مـــطمئنـــاً بكـــريم وصـــادق من وعـــود

****

في خيـــال الدنيـــا نـــابـغ وأفكـــار تحـــلى الـــزمـــان منهـــا بجيـــد
خـــالدات في حـــين بـادت حضـارات ومـــاتت شرائـــع في مهـــود
أرجف الكفـــر أنها فكـــر بـــادت ولفت خـــوافق من بنـــود
شرعـــة الله ســـوف تبقى معينـــاً ودمـــاً نـــابضـــاً بكـــل وريـــد
كلما أجـــدب الـــزمـــان تنـــامت واستفـــاضت حقـــولهـــا بجـــديـــد
أنها حـــاسر بجنب ألـــوف زوقـــوهـــا ببهـــرج - وورود
فـــأنتقـــاهـــا الكـــمال والصـــيرفيّ الفهم مـــا غـــاب عنـــه زيف النقـود

****

يـــا سرايـــا محمـــد أين منـــا حلبـــات في أمسنـــا المفقـــود
يـــوم كنـــا وخيلنـــا تعـــبر النجم وتسمـــو مغـــذةً بـــالصعـــود
سورة الفتـح في صليـــل مواضينـــا لهـــات الأنغـــام في تـــرديـــد
والأمـــاني عنـــدنـــا في سؤال الله انجـــاز وعـــده لا الـــوعيـــد
مـــا الـــذي نـــاب مشرأب خـــدود فـــاذا نحن ضـــارعـــات الخـــدود
دجنـــونـــا فنحن صـــوت ابن آوى بعـــد أصـــداء من زئـــير الأســـود
وتـــولى صراعنـــا عن جهـــاد واغتـــدى بـــين قـــائـــد ومقـــود
وجـــه القـــادة اللظى لصدور حسبتهم درع الخـــطوب الســـود
تـــاجـروا في دمـــائهـا واستبـــاحـوهـــا وعضـــوا زنـــودهـــا بـــالحـــديـــد
أكلوا يـــومهـــا وبـــاعـوا الـــذي يـــأتي ولاقـــوا نعـــمائهـــا بـــالجحـــود
رؤســـاء عـــلى الشعـــوب سبـــاع ونعـــال خـــدودهم لليهـــود
في شعـــــار تقـــــدمي بلفظ وفعـــال رجعيـــة التجسيـــد
أنكـــرتهـــا حتى الـــوحـوش لمـــا فيهـــا من ظلم والخنـــا والجمـــود

****

أيهـــا الـــزائـــر البقيـــع تـــأمـــل روعـــة المـــوت فـــوق تلك اللحـــود
وتمـــلا السنـــا فـــذا من نجـــوم سكنتـــه فـــلألأت بـــالصعيـــد
إلثم الـــترب خـــاشعـــاً وتنشق عبق الخلد في رمـــال الشهيـــد
هـــا هنـــا راقـــدون قـــد صنعـــوا اليقـــظة فـــالمجـــد في ضريـــح الـــرقـــود

ها هنا للنبي نامت فروع   عرفت فيهموا سمات الجدود

ها هنا يرقد النبي بأهليه   فهم سنخه بدون قيود

ها هنا معقل الامامة والدين   وصنو التقى ورهط السجود

كل فعل دون المقاييس قد   يفضي إلى سيء من المردود

سأل العارفون عن سر فعل   لم يكلل بالنضج والتسديد

****

شدتموا قبر أحمد ومنعتم   منح أولاده بقبر مشيد

أصحيح أن يمنع المثل حكم   المثل وهو النضير بالتحديد

فأشمخوا لا يصيركم (آل طه)   أن تعرى مصاحف من جلود

يا فراخاً (لفاطم) (وعلي)   جاء يسعى لبالكم مقصود

مددا يا أعز من فتية الكهف   أفيضوا فكلبكم بالوصيد

يا كساءاً ببيت فاطم ضمَّ   الآل في يوم موقف معدود

و(البتول الزهراء) تعد لطفليها   سخابا في خيطه المشدود

وبقايا النعاس في أعين الأطفال ناموا على سرير الجريد

ويدا فضة تلملم في جنب   الرحى حفنة الدقيق البديد

وعلى سقى بعيلات نخل   وأتى أهله بأجر زهيد

بيد ممسك ببضع تميرات   وأخرى بحزمة للوقود

وتعد (الزهراء) من آدم (الطائف)   فرشاً وخيشة للقعود

وتعد الطعام في طبق الخوص   رغيفاً وبُرمةً من عصيد

أكلوا والنبي في دعوات   ضارعات بخشعة وهجود

رب أولاء أهلي فطهرهم   وهبهم رضاك يوم الخلود

رب وأجمع ما بيننا في ذرى عرشك   في يوم ظلك الممدود

ايه (آل النبي) ما مثل هذا   أي مجد من طارف وتليد

أين (كسرى) وأين (قيصر) من هذا   على كل مالهم من رصيد

****

رب جئنا إليك منك فهذا الكون   جزء من فيضك المعهود

رشحة من عطائك الغر يا ربْ   فمنك العطاء محض الجود

يا عطاءاً ما شابه النقص والمن ... وذي رحمة الحميد المجيد

كل شيء مسترفد منك ذاتاً ... فافتقاري إليك معنى وجودي

ومحال إذ يسأل النقص نقصاً ... مثله أن يمده بالمزيد

يا ندى يبتدى ويعطي ويعطي ... الخير حتى لكافر وجحود

بي يارب لوعة ما لها الاك ... تطغى من حرها الموقود

ذل أهل وغربة تنهش الروح ... بأنيابها وحبس وليد

ويقيني أني كنود ولكنك ... أسمى من مذنب وكنود

إنني جئت انتحي منك بابا ... لا بذي شحة ولا المسدود

رب والكون مبدئاً ومعاذاً ... هو من فيض مبدىء ومعيد

رب فأرحم عبد ألح عليه الضر ... وأرفق بناحل مثل عودي

يا جلالاً ويا جمالاً ويا رباً ... تسامى بالعدل والتوحيد

كل شيء ثغر يناجيك بالكون بلحن التسبيح والتحميد

****

أيها الهابطون في رغبات ... نال منها حتى اخسّ القرود

ها هنا يطفأ الغليل فهيا ... ننزل الرحل عند نبع برود

فالجنان المفوفات هراء ... جنب رمل النقا ووادي قديد

والخزامي والياسمين المندى ... وهزيج من صادح غريد

وبَليل النسيم في راعش الأفياء ... والدل من حسان غيد

لا يساوي الهجير في وهج الصحراء ... أو عوسجاً بسفح زرود

فهنا تستجم متعبة الأرواح ... في عالم الرضا والشهود

والسعادات ليس إلا بدنيا ... الله في أفقه الكريم السعيد

******

مكة المكرمة : ٢٩ رجب ١٤٠٧هـ

«دموع قلب»

في رثاء الشيخ سلمان الخاقاني رحمه الله

لا السامرون ، ولا الوادي ، ولا البان ... كأنّما الأرض ما كانت ولا كانوا
بدء النهاية في يوم البداية للاعمار فالحل بالترحال ايذان
درب الى الموت هذا الكون ما برحت ... من سالف تتوالى فيه أضعان
أنحن في هذه الدنيا حقائق أم ... ضرب من الوهم عاشت فيه أذهان ؟
أهكذا يستحيل الصرح أخيلة ... وينتهي فاذا الأفراح أحزان ؟
وهم ويصحو الخيال الحلو من خدع ... وتستفيق من الأحلام أجفان
وساعة واذا الدنيا بآهلها ... طيف تبدّى وولّى وهو عجلان
هي الأماني على كذب تطيب لنا ... كما استطاب السراب الآل ظمآن
فقل لأحبابنا ممّن نشيّعهم ... لنحن من شيّعوا لو صحّ ميزان
أقمتم ورحلنا في مشاعرنا ... لكم فمن مكثوا منّا ومن بانوا

★ ★ ★

تسائل البر والمعروف والخلق الرحب الكريم .. أحقاً مات سلمان ؟
وهل طوى القبر فذّاً من شمائله ... ومن شمائله علم وعرفان
وطلعة هي روض في مواسمه ... والروض عطر وأفياء وأفنان
ما أعظم الجنة الفيحاء في أفق ... تفحّ فيه من الأحقاد نيران
يا واحداً من رعيل سوف يعكسهم ... صدى على جنبات الدهر مرنان
ممن لدى الروح مثواهم وموطنهم ... وان ثوت لهم بالترب ابدان
وأجهشت ذكريات عشتها معكم ... فليت ذكراكموا بالوعي نسيان
وعاد دمعي صمتاً والقلوب لها ... دمع صموت وبعض الصمت اعلان

★ ★ ★

يا نازحين عن الدنيا وقد نزحت ... بهم عهود وأوطار وأوطان
أسلمتمونا الى صحراء يغرق في ... أبعادها الذئب والسهّار غيلان
لا نبع فيها ولا الأفياء وارفة ... فأين يطفي اوار القلب حران
وضيعة الروح فيمن ليس يعرفها ... كضيعة الروض والروّاد عميان

★ ★ ★

يا من قبيلته التقوى وان تلك قد ... نعته وافتخرت في ذاك (خاقان)
ما أهون الدم اذ ينميك دون أب ... من النهى تكتني فيه وتزدان
فمن بنى الصرح من لحم يموت به ... كما تموت بطين الحقل ديدان
وغاية الفكر والأخلاق ثوب علا ... وغاية الدم والأعراق أكفان
ولست أبخس من قومي حقوقهم ... فقد أهون واسم الحق انْ هانوا
ولا أعقّ جذوري الشمّ وهي علا ... أدنى منازلة الشعرى وكيوان
لكنني أعرف الانسان في قيم ... لا في دم يستوي فيه وحيوان
ألم يضق بك حضن الدم أمس ومن ... وشائج الفكر قد ضمتك أحضان
ساء انتماءك أن تقسو وشائجه ... وأن ينالك من زنديك عدوان
وان تذاد ودار الأم واسعة ... ويحتفي برفات منك جيران

★ ★ ★

تحيّة يا رعيل الأمس من نفر ... عاشوا وماتوا وهم للفضل عنوان
الصاعدين الى مجد وسائلهم ... اليه صبر، واخلاص، واتقان
أقصى مطامحهم في أن واحدهم ... على الشدائد للعافين معوان
مرّوا على هذه الدنيا بمزودهم ... كأنهم في رباع الأرض ضيفان
لكنهم أثقلوا الأيام من سنن ... لهنّ في الناس برهان وبرهان
يا من وقد رحلوا هيهات يرجعهم ... حزن ودمع من الآماق هتّان
دعوا الصدى ان رحلتم كي نعيش به ... فان أصداءكم بالسّمع ألحان
وخلّفوا طيبكم فالنتن زاحمنا ... ومحنة الطيب أن يؤذيه أنتان

★ ★ ★

(سلمان) لو نبتت بالقبر صالحة ... وخيرات من التقوى واحسان
والمترعات ندي عامر وندى ... والطاهرات سلالات وأردان
فان قبرك ممّا كان عندك من ... تلك الكرائم جنّات وأغصان
ولو تسمّعت رملاً ضمّ ثغرك في ... قبر لغرّد بالآذان قرآن
لقد سألت القوافي الغرّ والفكر الشمّاء، أين مضى عنهن ديوان ؟
فأنكرت أن يلفّ الفكر في كفن ... وأن تغطّى وميض الروح كثبان

★ ★ ★

(سلمان) كسرة خبز والحصير وما ... بالنفس حزن ولا بالثوب أردان
هي السعادة في الدنيا ويكرمها ... لو تمّ من بعدها لله رضوان
اني وان أكُ قد يزهو على كتفي ... خزٌ وملء خواني البر والضان
وألتقي كلّ يوم بالحشود ولي ... منهم رفاق أناجيهم وأعوان
قد عدت أمضغ روحي في مشاعرها ... لما ألحّ بها جوع وحرمان
فحيث يكثر زاد والكريم به ... نزر ففي مثله من جاع شبعان
لو يرتضي فضلات الزاد كل فم ... لما تمايز أحرار وعبدان
كفرت بالأوكس الأدنى وان خدعت ... به العيون وبعض الكفر ايمان
فما النعيم سوى روح تناغمها ... ودار عزّ ولو كوخ وعبدان

★ ★ ★

مررت عند القبور الدارسات وقد ... مرّت عليهنّ آماد وأزمان
فشدّت الذهن أطياف وأخيلة ... بهنّ للموت فيما غاله شان
هنا عروس بثوب العرس قد دفنت ... وبرعم دفنوه وهو ريّان
على التراب عبير من كمائمه ... ومن عذاريه أزهار وريحان
وذي أمان ذوت في أوج خضرتها ... وكم تعود الأماني وهي أشجان
وهامة هي ميدان لمعرفة ... أضحى بها للبلا والدود ميدان
وكومة من رماد الحدث أمم ... بها وضمّت بها دنيا وأكوان
نام البليد بها والعبقريّ معاً ... وحطّ في عفرها (موسى) و(هامان)
والترب حضن كحضن الأم يجمع من ... أفيائه من وفوا عهداً ومن خانوا
قرأت أمسي به في صورة لكم ... على الثرى فأنا للأمس ولهان
فعدت أقتات منه في مخيلتي ... حتى كأنكم بالنفس أعيان
فلا تذودوا عيوني عن طيوفكم ... فليس لي غيرها والحق سلوان
أبي وشيخي واخواني وخالصتي ... ترحّلوا فالردى والعيش سيّان

★ ★ ★

(سلمان) أطناب تلك العرب قام بها ... لمعشر من هجان الأصل ايوان
ما فيه من أهلنا ارث فنخوته ... زور وأمجاده خمر ونسوان
ومنبت الشيح والقيصوم ليس به ... معرس أهله طي وقحطان
وليس للسابحات الغرّ يوم وغى ... شوط وللشد قمي الفحل أعطان

والحي ما عاد من طعم وفي كرم ... به يلوّح مطعام ومطعان
يشجيك ان متون الخيل أثقلها ... عبء وما في متون الخيل فرسان
وان موترة الأقواس قد كثرت ... لكنّها ما بها نبل ولا زاز
وان ألف عكاظ لا خطيب بها ... لكنْ بها هذر في القول طنّان
فرائد الضاد أشلاء ممزّقة ... وما لنظم بديع العقد امكان
عرب ويا غربة الفصحى بموطننا ... ورهط ضاد وشيخ الحيّ مرطان
أليس تحسد دنيانا القبور اذا ... ما كان في جوفها (قس) و(سحبان) ؟
كم بالقصور رؤوس هنّ منتعل ... وبالقبور عظام هنّ تيجان

الوائلي امير المنبر الحسيني

ان موكب التضحيات الاسلامية يتسم بطبيعة خاصّة تزخر بمعطيات بناءة تنبعث من خلالها انطلاقة الاصلاح الرائدة . . وذلك اساسه مقومات الشخصية الاسلامية التي ارادها الله ، حيث صياغة انسان نموذجي له وجود خاص نابع عن عقيدته الاسلامية ، مشتقة اصوله من عقله وخلقه وروحه ، وحينها تراه تجده يتطابق سلوكه الواقعي مع مبدأه الذي يدين له بالولاء .

والاسلام العظيم عقيدة مبدعة ذات فاعلية ايجابية على سلوك معتنقيها بحيث تجعله في حركية داخل اطارها الذي تحدده له ، ولهذا نلاحظ ان لمفهوم التضحية والتفاني قدسية ترتكز على معطيات مبدئية . . ومن يتصفح تأريخ الفداء في الاسلام يتضح له بكل جلاء ما كانت تستلزمه رسالة السماء في ابنائها ، وما تشهد به المواقف البطولية الرائعة التي سجلها شهداء الرسالة الغراء ابلغ دليل واسمى مثال .

واذا ما استعرضنا التأريخ الجهادي لامتنا نجد ان ثورة الحسين عليه السلام ، تقع في طليعة اليقظات الشاملة في وجدان الأمة ، واذا كان مفهوم الثورة يعني الادراك الكلي لجملة المتناقضات التي تعيش عليها الامة بشتى صورها فاننا نلاحظ ان الحسين فجّر ثورته ضد تلك المتناقضات التي عاشتها الامة أيامه ، فهو عليه السلام بعد ان وعى بذهنيته الوقادة مدى ما تخلقه تلك التناقضات وما له من تأثير في توجيه العقلية الفتية آنذاك وجد لزاماً عليه ان يقف بالمرصاد امام التخلف والتبعية والاستغلال الذي يعتبر السبب المهم والمباشر في قيام الظلم

والطغيان . ولقد اشار الامام الحسين عليه السلام الى غايته المثلى من نهضته المباركة فقال :

«اني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح» .

والاصلاح الذي اراده الامام الحسين انما هو التغيير الصحيح وليس بالامنية فحسب ، وليس هو بالاشياء التي يمتلكها غيرنا ذلك ان الانسان هو صانع تأريخه وهو الذي يغيره حينما يدرك قوانين التطور واسباب حركته ، وهو بهذا الادراك يستطيع ان يغير واقعه بعد ان يفهمه ويطوره على ضوء ما يمتلكه من وعي وفهم لأن الثورة هي ارادة التغيير المقرونة بالفهم الواعي وهذا ما نتلمّسه من خلال خطبة له حيث يقول :

«ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» .

ومن هنا سلك الامام الحسين طريق الاحرار الذين يتراءى على موكبهم عنوان العز والشرف ، فقدم نفسه الشريفة قرباناً على طريق الفداء والحرية والكرامة . واقتفى اثره شيعته الابرار ، وثاروا في وجه الطغيان المستكبر ، فعقدوا مجالس احتجاج حول قبر الحسين وشرعوا يمرون بذاك اليوم بخشوع ورهبة ، ويعقدون به وبما سبقه مجالس تشحذ النفوس وتدفع للموت ، ظاهرها عبادة يدعمها روايات ، وحقيقتها احتجاج صارخ وتصميم على التضحية .

ولا ريب ان خطباء تلك المجالس كانوا يذكرون مناقب اهل البيت ويتغنون بدفاعهم عن الاسلام وتضحياتهم في سبيل المصلحة العامة وينفذون من ذلك ولو تعريضاً لما يكشف نفسيات معاصريهم من الملوك وولاة العهود وبطانتهم من ولاة الجور ، ولقد اقضّت تلك المجالس مضجع الدولة فشرعت تحاول الحدّ من قوّتها وتدس في بطانتها من يقيم احتفالاً بيوم الغار الواقع في ٢٨ ذي الحجة واحتفالاً بذكرى قتل عبد الله بن الزبير الواقع في ١٨ محرم لترد بها على عاقدي مجالس المحرم ، ولم تكتف الدولة بهذا الرد ، بل شرعت بلسان تلك البطانة تحض الناس على اتخاذ العاشر من المحرم عيداً يظهرون به جديد الثياب وكامل الزينة ، ويتبادلون الهدايا وفاخر الاطعمة .

وما ان دالت امية حتى انزوت احتفالات يوم الغار ويوم عبد الله بن الزبير ، وجاء المتوكل العباسي يهدم الضريح القائم على جسد الحسين خشية انعقاد تلك المجالس ، والمتقي العباسي يأمر بهدم مسجد (براثا) في بغداد الذي اصبح مركزاً لمجالس الحسين ، بغية الحد من جذوة المعارضة المتقدة .

واستقبلنا عصور الجهل والانحطاط فاقتصرنا في مجالس المحرم على سردالروايات باصْوات شجية ناسين ان الذين اسسوا المجالس ارادوا منها المحافظة على منهاج الحسين والموت اقتداءاً به ، حرصاً على جمع الكلمة بانتزاع الزمام من الذين دفعوا العامة لهاوية الغرق . . وهكذا مرّت قرون اولها العصر العباسي الثاني ، وآخرها القرن الحاضر ، وجلّ خطباء مجالس الحسين ، يجهلون استثمارِ الفائدة التي اسست لها تلك المجالس ، فلا يوجّهون للتضحية في سبيل المصلحة العامة ولا يتعرضون لمرض سياسي يفتك بعصرهم .

وخلال هذه الفترة التأريخية ظهرت مؤشرات هامة في تأريخ المنبر الحسيني ينبغي التوقف عندها لمن يريد تتبع تأريخ الخطابة الحسينية ومن ذلك :

١ ـ لما ألّف الملا حسين بن علي الواعظ الكاشفي البيهقي السبزواري المتوفى ٩١٠ هـ كتاب روضة الشهداء ، أخذ مؤنبوا آل البيت يتلونه على المنابر فاشتهر كل منهم (بروضة خوان) اي قارىء روضة الشهداء ، ثم صار لقباً لكل من قام بهذا العمل ، وما زال هذا اللفظ شائعاً لدى العامة في العراق والخليج العربي «روزخون»[١] .

٢ ـ وبعد ذلك بمائة عام تقريباً ألف الشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ ـ ١٠٨٥ هـ) كتاب «المنتخب من المراثي والخطب» وهو كتاب ضخم من مجلدين يحتوي على عشرات المجالس الحسينية المرتبة على ايام المحرم يبدأه بخطبة مسجوعة لكل مجلس ثم بآية قرآنية أو حديث شريف وقصيدة شعرية ، ثم يخوض بعد ذلك في احاديث تأريخية شتى تتعلق نهايتها بذكر شهادة الحسين عليه السلام وذكر مصائب آل البيت عليهم السلام ويختم كل مجلس بقصيدة رثاء حسينية لشاعر من شعراء عصره ، وألف ابن عمه الشيخ عبد الوهاب الطريحي كتاباً يحمل اسم (المنتخب) ايضاً غير ان شهرة الاول طغت عليه ، واشتهر كتاب (المنتخب) اشتهاراً عظيماً بل استعيض به في كثير من الاحيان عن قراءة المقتل ، وهي الطريقة التي كانت شائعة قبل تأليف هذا الكتاب ، وقد طبع المنتخب في تركيا والهند وايران والعراق ولبنان طبعات كثيرة وما زالت شهرته كبيرة خاصة في دول الخليج العربي ومنها البحرين حيث ما برح الوعاظ يحفظون الكثير من فصوله ويتلونها عن ظهر الغيب ، وربما ألّفت كتب على غراره في العصر الذي تلا عصر الشيخ الطريحي .

---

(١) راجع ما كتبه الميرزا محمد باقر الخونساري في روضات الجنات ص ٢٥٧ وما كتبه السيد هبة الدين الشهرستاني في مجلد المرشد ٣٠٦/١ ، وما كتبه الحاج الملا علي الواعظ التبريزي في وقائع الايام (مجلد المحرم ص ٢٨٤) .

٣ ـ نبوغ جماعة من خطباء النجف في فن الخطابة الحسينية ، ينتمون الى اسرة آل سبتي ـ وهي من الاسر العربية السهلانية ، وذلك اوائل قرننا الحاضر ، ولهؤلاء يرجع الفضل في تجديد موضوعات المنبر الحسيني وتنوعها ، واكتشاف ـ الاكريز ـ وهو اختيار اللفتة الذكية المناسبة التي تجمع بين الحديث التأريخي او الادبي او غير ذلك وجعله متفقاً مع نهاية مؤثرة تتعلق بذكر الحسين وآل البيت عليهم السلام . ولنا في كلام معاصري آل سبتي حجة على ذلك ، سواء من العلماء الذين حدثونا عنهم او من حديث المؤرخين والادباء الذين ذكروهم ومنهم المرحوم الشيخ جعفر آل محبوبة مؤرخ النجف المعروف ، قال عنهم :

«آل سبتي توارثوا الخطابة الحسينية ، وألِفوا رقى اعوادها فكانوا من السابقين في ميادينها والمحلّقين بفخرها خدموا المنابرَ خدمة جليلة تشكر وتذكر ورددها ألسن الثناء . .»[1]

ثم يتحدث عن الخطيب الحسيني الشيخ كاظم سبتي فيقول :

«كنت أحضر مجالسه في عشرة المحرم في دار آل بحر العلوم فيرقى المنبر قبله اربعة او خمسة من شيوخ الذاكرين وكلهم يقرأ في موضوع خاص فلا يتركوا ما يخص الموضوع من شاردة او واردة إلّا وذكروها حتى يستعين البعض منهم بالمراسيل والاخبار الضعاف والمنامات فاذا رقى المنبر جاءنا بشيء جديد لم نسمعه ممن كان قبله واخذ حقّه من الابكاء فكان السبق له وحقاً اقول انه مخترع ومبتدع في فن الخطابة»[2] .

٤ ـ قيام الشيخ نصار العبسي بتأسيس اول مجالس الحسين في النجف ومن عصره كثرت المجالس واجريت سِنّة حتى يومنا وكانت وفاته عام ١٢٤٠ هـ ، وذلك على ما نقله السيد حسن الصدر في التكملة[3] .

وقد واصل الطريق من بعده الشيخ محمد نصار الشيباني اللملومي المتوفى ١٢٩٢ هـ وكان من الافاضل وقد نظم واقعة الطف بتفاصيلها نظماً ممتازاً ومؤثراً على طريقة نظم أهل البادية ، وكان له في هذا النظم القدح المعلى كما جاء في الحصون المنيعة[4] . والى الآن تقرأ منظوماته الحسينية وفي جميع المجالس التي تعقد في البلاد العربية والاسلامية وطبعت منظوماته الموسومة

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٢/٣٣٦ .
(٢) ماضي النجف وحاضرها ٢/٢٤٠ .
(٣) شعراء الغري ١٠/٣٢٤ .
(٤) شعراء الغري ٥/١٨٠ .

بالنصاريات عشرات المرات ، وعلى ذكر النصاريات نذكر ان الادب الشعبي الحسيني يستحق دراسة مستقلة لخصائصه وفنونه ، باعتباره احد العناصر الاساسية في برامج الخطيب الحسيني ويدخل ضمن هذا السياق طريقة الردّات الحسينية التي ظهرت في حدود الاربعينات من هذا القرن على يد مبتدعها المرحوم الملا فاضل الرادود[1] ثم تطورت بشكل كبير وتنوعت وكثر هواة هذه الطريقة حتى اصبحت فيما بعد قرينة للمجلس الحسيني لا سيما في العراق .

٥ ـ ظهور الوائلي كأحد اعلام الخطابة الحسينية ، وتميّزه بطريقته الخاصة في عرض افكاره ، حيث انه تأنق ما استطاع ان يتأنق ، واجداً في ذلك وسيلة للتأثير في نفوس سامعيه ، فاستولت طريقته على قلوب معاصريه ، وقلدوه فيها ، واتخذوه اماماً لهم واستطاع ان يعبر عما يجول في نفسه من عواطف لمستمعيه ، وان يؤدي ما يحتاج اليه المنبر الحسيني من الثقافة الموسوعية العلمية .

وان خطيباً هذا شأنه ، له اثره الكبير في توجيه الخطابة الحسينية في العالم العربي ، جدير بدراسة تكشف عن تجربته الفريدة في هذا المجال الحيوي من وسائل التثقيف الاسلامي .

والنجاح في الخطابة يرتكز على اسس وقواعد تجمع بين الاستعداد الذاتي والذكاء الفطري فمن اشتمل على ذلك ورُزق حظاً وافراً من العلم واللغة استطاع التكلم في كل موضوع بسهولة ورشاقة واقناع واصبح المصقع البليغ الضارب على اوتار كل فؤاد ، وقد اصبح من الضروري الوقوف على تلك الاسس والقواعد لكل خطيب عصري ينشد النجاح في الخطابة .

وليس من السهل تقييم الخطابة الناجحة ومعالجتها موضوعياً ذلك لأن الخطابة تتصل بالعواطف والاذواق وقلما تكون عناصرها موضوعية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ان الخطابة الحسينية يتفاعل معها الجمهور العريض المتنوع في ثقافته وذوقه ابتداءً من الاميين وانتهاءاً بحملة الشهادات العليا والعلماء ، ولهؤلاء مشارب متنوعة وتقييم مختلف ، فقد يعجب بعضهم بالخطيب لعذوبة صوته وقدرته على بعث الشجى في النفس ليس غير ، وقد يعجب بعضهم

---

(١) اصله من الكوفة وبها ولد في محلة السهيلية ويتلقب بالعاني ، وخاله المرحوم الحاج نجم البقال من ابرز ثوار انتفاضة النجف عام ١٩١٨ حين اعلنت البلدة العصيان وقتلوا الكابتن مارشال ـ الانجليزي ـ والملا فاضل جدير بدراسة مستقلة فهو شاعر وخطيب شعبي قلّ نظيره امتدت شعبيته في جميع البلدان العراقية ودخل معترك السياسة فكثر خصومه وسجن مدة طويلة وكتب في سجنه ديوانه (الف عدو ولا صديق واحد) ، وله شعر شعبي كثير جداً ومنه ديوان خاص نظم فيه رباعيات الخيام بالشعر الشعبي العراقي على شكل (مواليات) توفي عام ١٩٨٢ .

باحاطة الخطيب بالتأريخ ، وقد يعجب بعضهم بأدبه ، وربما يعتبره البعض ـ وخصوصاً الذين يخلون من المعرفة ـ يعتبرون الخطيب عظيماً لانه قال اشياء لا يفهمونها ، وكثيراً ما استغل بعض الخطباء المرتزقة هذه الظاهرة فمرروا خرافاتهم وجهلهم وادعائهم على مدارك هؤلاء السذج واوهموهم انهم يعالجون قضايا عميقة ودقيقة وما زالت حفنة من هؤلاء تمثل شريحة كبيرة تعيش على مثل هذه الاجواء .

ومن الضروري بمكان وضع معايير علمية ومقاييس تحدد درجة الخطباء لئلا تختل المقاييس والضوابط ويتسلق التهريج وتدفن كثير من الكفاءات من جراء عدم قدرة الجمهور على التمييز ، وقد يقول البعض ان هذا التسيب الذي تذكرونه موجود حتى على مستوى الحوزة العلمية ، والحقيقة ان الوضع بالنسبة للحوزة العلمية يختلف عنه هنا ، لأنَّ تحديد درجة طالب العلم انما يقوم بها ذوو الخبرة والكفاءة من حملة العلم ، بعكس المنبر الذي يتحكم بتحديده الجمهور كما ذكرنا ، وعلى العموم لا بد من الاشارة ولو اجمالاً الى شروط الخطابة العلمية ، وقبل كل شيء فان المؤهلات التي تراد للخطيب تنقسم الى قسمين : قسم خارج عن ارادته ، وقسم يقع في نطاق كسبياته ، اما القسم الاول ، فهو من قبيل ان يكون حسن الخلقة والصوت طلق اللسان ، خالياً من العيوب الخلقية التي تمنع عليه سهولة المخرج او جهادة المنطق كاللجلجة (التردد في الكلام) والتمتمة (التعتع في التاء) والفأفأة (التعتع في الفاء) واللثغة وغير ذلك وينتمي الى وسط علمي اسروياً ومكاناً . وان يكون صادق الحس ملهماً عجيب الفراسة بعيد مطارح النظر يدخل الى اعماق القلوب ليخاطب كل فئة على هواها ويحمل عليها اقدار منازلها ، متضعاً يمتزج بمن خاطبهم ويقرب ما بينه وبينهم فيكون في الظاهر خادماً لهم وهو السيد المطلق ، وان يمتاز بحضور الذهن فلا يتجاوز في القول ما يهم سامعيه وكلما احس نبوة من النفوس عنه او ملّة للقلوب منه القى اليهم نغمة جديدة وطلع عليهم بفكرة غير منتظرة فيمنع التثاؤب والملل ويعيد الانتباه الى مقره ويملك عليهم سمعهم وشعورهم لأن الخروج من معهود الى مستجد ، كما يقول الجاحظ استراحة للفكر ورياضة للخاطر .

واما القسم الثاني ان يكون على علم ودراية فهو اساساً بأمس الحاجة الى اتقان العلوم العربية والاسلامية ومقدماتها كالفقه والاصول والعقائد والفلسفة والنحو واللغة والبلاغة والمنطق . . الخ ثم هو بحاجة الى المام جيد بالفكر الحديث والعلوم الاساسية كعلم الاجتماع والنفس وفلسفة التأريخ وغير ذلك ، وبمعنى آخر ان يكون موسوعياً ، يضاف لذلك ان يكون حافظاً للقرآن وامهات الحديث والحوادث التأريخية ولكثير من الشعر الذي يحتاج اليه للاستشهاد به لو وردت مناسبته .

ولا بد من التنبيه هنا على صلة التاريخ بالخطابة الحسينية ، فهي صلة عضوية كصلة النسيج بالمنسوج وكالمعدن بالنسبة للاناء المصنوع منه ، فالتاريخ هو مادة وموضوع هذه الخطابة ومن مقوماتها الرئيسية ويعتبر مدى الاستفادة منه موقوفاً على مقدار خلفية الخطيب العلمية واستعداده الذاتي في الفهم والتحليل فبمقدار ما يتمتع به الخطيب من كفاءة ومؤهلات تتم استفادته من الحدث التأريخي وبالتالي صنع الغذاء الشهي للسامع .

وبهذا ترى ان الخطابة ما عادت من الامور السهلة التي يمارسها الانسان كوسيلة للمعاش ، وان وجد هذا المستوى بالفعل . ولكنه يبقى في نطاق الارتزاق ، اما الخطابة الهادفة التي تفرض احترامها على كل طبقات المجتمع فهي لا تحصل إلّا بعطاء من الله تعالى وتسديد منه وجهد وعناء متواصل ، وان ملخص ما نريد التوجه له من جيلنا الصاعد المتطلع الى عزة ماضينا ورفعة ديننا هو دراسة ظاهرة الخطابة الحسينية والقيام بحلقات من البحوث والدراسات والمؤتمرات الخاصة ، لانها ظاهرة جديرة بذلك من اجل النهوض بها وتطويرها ورفع ما ران عليها من زيف المدعين والمستغلين ، فهي مؤسسة حضارية كبرى بل هي أداة الاقناع والعامل الاكبر في تقدم الامم وانهاض الهمم وتنبيه العزائم واذكاء الشعور بها وصولاً الى بناء الشخصية الاسلامية بناء سليما .

الوائلي في شعراء الغري

هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي[1] الشهير بالوائلي ، خطيب شهير ، وأديب مرهف الحس .

ولد في النجف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول أوائل عام ١٣٤٢هـ ونشأ بها على أبيه ـ وهو من الخطباء الشعراء ـ فعني بتوجيهه وعند دور المراهقة بدأ بقراءة المقدمات ولما وجد الارتباك في الدراسة النجفية قد تجلى آثر على صغره أن يدخل مدرسة (منتدى النشر) التي كفلت توجيه

---

(١) شعراء الغري ١/٢٩٣ ـ ٢٩٥ ، والكتاب موسوعة كبرى في الشعر النجفي ، ألفه الاديب والمؤرخ العراقي الراحل الشيخ علي الخاقاني رحمه الله .

الطالب وتعليمه وفق ما يتطلبه ناموس الزمن فدخلها مع نفر من أذكياء الخطباء وكانت علائم الذكاء تبدو عليه منذ الصغر فدرس مختلف العلوم كالعربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق وشيئاً من الفقه والأصول ، وبعد تخرجه منها اندفع يواصل الدراسة الخارجية فقرأ الحكمة وبعض الآراء المشرقية على الشيخ علي حفيد الإمام الهادي من آل كاشف الغطاء .

وتمرّن في الخطابة منذ النشأة فقد صحب عن طريق التلمذة فريقاً من الاساتذة وأكثر من ملازمة بعضهم وهو الخطيب السيد **باقر السيد سليمون** . واستمر يتجلى بفنه تجلياً مما دعا أساتذته أن يعجبوا به وينظرونه نظرة الإكبار والاحترام ، وسار قدماً دون أن يثنيه شيء سوى تحقيق هدفه الذي رسمه لنفسه وهو التفوق في الخطابة وإعطاء صورة عنها تماشي فن الخطابة عند الفرس لتركزها على الأُسس العلمية والمواضيع الفلسفية وهو بدوره استطاع أن يبدع ويسحر في أسلوبه وفنه .

حضرت له عدة مجالس كانت أشبه بالمحاضرات دلت على سعة اطلاع وحسن القاء والتفاتة كانت تسترعي أذهان المثقفين قبل السذج ، قد وفق كل التوفيق فيها فقد ماشى فيها متطلبات الزمن ومقتضيات العصر ونال بها إعجاب المعظم إن لم أقل الجميع وهو في سن مبكرة استكثرها عليه كثير من اخدانه بل وحتى أساتذته كما قدمنا .

والوائلي شاب[١] يرضيك بسلوكه ويقظته ونقاء أسلوبه وارهاف حسه مع زهو بسيط قد قرأ أحدث الآراء التي تسالم على صحتها قادة الفكر ، يتحسس الحياة تحسساً ضمن اطار من الاتزان والهدوء النفسي ، ويشعر أن الزمن يسير بخطوات سريعة جداً ، لذا تراه في سيره يحاول أن يواكب الزمن مواكبة الوديع الذي يحرص على تحقيق رأيه دون ضوضاء ، ويفكر أن يضمن وجوده على طرق الحق والاستحقاق وقد أفلح في تحقيق ذلك على الأكثر .

والوائلي بالإضافة لتفوقّه في الخطابة فهو شاعر رقيق الشعر والشعور مليح القول مشرق الديباجة ، وقد نظم عدة قصائد كلها ناجحة تصوّر نفسيته وروحه وعقيدته واليك نماذج من شعره وفيها تظهر براعته في هذا الفن .[٢]

---

(١) كتبت الترجمة والوائلي في الثلاثين من عمره ، وقد أثبتناها كما جاءت في الأصل لأجل مؤرخي الأدب .

(٢) أثبت المرحوم الخاقاني بعد ذلك اربعة قصائد ، ويمكن مراجعتها في الكتاب نفسه وهي : ١ ـ رثاء للمرحوم السيد عيسى آل كمال الدين ، ٢ ـ ليلة في بغداد ، ٣ ـ ذكرى ، ٤ ـ رثاء للامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبها انتهت الترجمة .

دواوين الوائلي المطبوعة .

١ ـ الديوان الأول ، ١٥٨ ص ، ٢٣×١٦,٥ ، مجلد ط١ (١٤٠٠هـ ج ١٩٨٠) مؤسسة أهل البيت ـ بيروت .

٢ ـ الديوان الثاني ، ١٢٨ص ، ٢٣×١٦,٥ ، مجلد ط١ (١٩٨٣م) دار الكتاب الاسلامي ـ بيروت .

الديوان الأول
من شعر الشيخ أحمد الوائلي
مؤسسة أهل البيت (ع)
بيروت ـ لبنان

الديوان الثاني
من شعر الشيخ أحمد الوائلي
• الناظم
الدكتور الشيخ احمد الوائلي
دار الكتاب الاسلامي
بيروت ـ لبنان

الأغراض	الشعر الديني	الشعر السياسي	الشعر الاخواني	الشعر الوجداني	الشعر الاجتماعي	الشعر الرثاء
الديوان الأول	٨	٦	٨	٥	٧	—
الديوان الثاني	٧	—	٤	٥	١١	٤
المجموع	١٥	٦	١٢	١٠	١٨	٤

٦٥ قصيدة

يظهر الجدول بوضوح غلبة الجانب الاجتماعي على شعره من مدح ورثاء واخوانيات ، وحتى **قصائده** التي آثر نشرها تحت عنوان الشعر الديني هي لها علاقة كبيرة بوظيفته الاجتماعية التي تفرض عليه روحية الأسلوب الذي يتحكم في شكل القصيدة وبنائها وحتى مضمونها ، كما يلاحظ غياب شعره الغزلي من هذين الجزأين وقد نبّه الوائلي إلى هذا أيضاً في مقدمة ديوانه الأول ص٩ فقال «هناك قصائد لم أُعان مضامينها في تجربة وإنما عانيتها خيالاً ! وقلّدت فيها اتجاهاً سائداً وحيث أن مضامين بعضها لا تنسجم مع وضعية دينية واجتماعية أعيشها وابتعاداً عن سوء فهم قد يحصل عند البعض آثرت أن أؤخر نشرها لفرصة أخرى» .